

الدكتور

عبد الله محمد جمال الدين

قسم الحضارة الإسلامية والتاريخ
كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

التاريخ الأندلسي

تدوينه ومروياته

حتى نهاية القرن الثالث الهجري

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف النبيين وإمام المرسلين

تمهيد

أتم المسلمون فتح الأندلس سنة ٨٩٢ - ٧١١ م ، ومن الطبيعي أن بشرت في جيش الفتح بعض التابعين ورجالات الثقافة الإسلامية ، كما أنه من الطبيعي أن ينتشر هؤلاء في بقاع البلاد المفتوحة بشرحون للناس حقائق الدين الجديد ويعرفونهم به ، وأن يطرق سمع السكان شيئاً من القرآن الكريم وعلومه وما يتعلق بذلك من ظروف وأخبار التنزيل ، مع شرح ما ورد في كتاب الله عز وجل من إشارات تتعلق بقصص الأقدمين مثل أخبار عاد وثمود وملوك اليمن وسيلع العرم . . . إلخ مع أخبار وسيرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وفتوحات المسلمين وجهادهم ، بالإضافة إلى بيان ما يمكن استنباطه من ذلك كله من أحكام فقهية وأمور تتعلق بما يهم المسلم في حياته اليومية ، فالصلة وثيقة بين علوم التفسير والحديث وبين التاريخ باعتباره جزءاً من الثقافة الإسلامية العامة (١) ويسبب هذا الارتباط المتين بين علوم الدين وبين التاريخ لاستغراب أن يكون التاريخ واحداً من الروافد التي تكون تلك الثقافة الإسلامية (٢) .

وهؤلاء التابعون للذين انتشروا في أنحاء الأندلس ، من أمثال موسى بن نصير وعلى بن رباح وجنش الصنعاني وغيرهم من جنود الفتح ، كانوا

(١) أنظر تفصيل ذلك عند :

أ. د. سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، الفصل الخامس من ١٢ - ٢٧ القاهرة ١٩٧٦ م .

(٢) أنظر :

هاملتون جب : مقالة عن مادة « تاريخ » بدائرة المعارف الإسلامية .

يقومون بمصر قبل خروجهم للجهاد في أفريقية والأندلس، وقد عادوا إلى مواطن إقامتهم بعد نجاح مهمتهم في الجانب الآخر من المحيط الأطلسي ، وأخذوا يحدثون الناس في المحافل وحلقات المساجد عن أخبار الفتوحات في البلاد الأندلسية ، ويصفون تلك البلاد ويتحدثون عن طبيعتها وجغرافيتها وخيراتها وعن شعوبها وعمما وجدودها من العجائب والغرائب ويتحدثون عن أخبار ملوكها وتاريخها .

ثم أخذت هذه الأحاديث تتناقل في المجالس العلمية والأدبية ويوليها العلماء والفقهاء والمحدثون والقصاص اهتمامهم ، ويقوم أمثال عبد الله بن لهيعة (١٧٤هـ - ٧٩٠م) والليث بن سعد (ت ١٧٥هـ - ٧٩١م) وغيرهما بروايتها للتلاميذ .

وواضح أن هذه كلها كانت أخبار وروايات سماعية ، وروايات هذه طبيعتها لا تخلو من بعض المبالغات ، ومع ذلك فما ذكرناه من حقائق يؤكد أن مصر شهدت أول محاولة لوضع التاريخ الأندلسي ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كانت مصر آنذ هي مركز الحركة الثقافية للبلاد المفتوحة حديثاً في الشمال الأفريقي والأندلسي ، ذلك أن هذه البلاد كانت حديثة عهد بالإسلام لم تستو الثقافة الإسلامية فيها بعد ولم يكتمل عود أبنائها بحيث يمكن الاعتماد عليهم في تكوين البنيان الثقافي والعلمي لسكان ومجتمع هذه المناطق ، ومن هنا كان طبيعياً أن تأتي الأنواع منها لطلب العلم وتحصيل الثقافة من المصادر المشرقية في الحجاز والعراق وبلاد الشام عامة ، ومصر بصفة خاصة ، ولم يكن غريباً أيضاً أن يخرج علماء من مصر ومراكز المشرق للقيام بواجبهم في نشر الفكر والثقافة الإسلامية بين سكان هذه البلاد المفتوحة ، وأن يترسم السكان الأصليون خطى هذه المراكز في تنظيمهم لمجتمعهم وحياتهم الجيدة وحل ما يعرض لهم من مشكلات ، والتاريخ جزء من هذه العملية بشقيها : التعلم والتعليم .

نعم ، استأثرت المعارف الدينية وبخاصة الفقه والتشريع ومعرفة الحلال والحرام بعناية الأندلسيين في الفترة الأولى من الوجود الإسلامي ، وارتضوا

لأنفسهم مذهب « الأوزاعي » أولاً ، ثم انتقلوا عنه إلى مذهب الإمام مالك بن أنس بعد حادثة « البربض » الشهيرة (١) ، وابتداء من هذه اللحظة تركز اهتمام الدارسين الأندلسيين في موطأ مالك ، باعتباره الدستور الذي يحتكمون إليه ، فكانت رحلتهم إلى المشرق بهدف التصرف على هذا المصدر ، وحضور مجالس علم تلاميذ ذلك الإمام في مصر أو في غيرها ، ثم العودة بما حصلوه إلى بلاد الأندلس ، وقد حضر بعض مجلس الإمام مالك نفسه في المدينة المنورة وسمع منه مباشرة أو من تلاميذه من أمثال عبد الرحمن القاسم أو أشهب بن عبد العزيز ودون بعضهم ما سمع حتى يكون معتمده فيما قد يصدر من فتاوى ، وليس غريباً لهذا أن يستخرج بعضهم لمخصصات مما دون يعتمد عليها في الإجابة على ما قد يقدم إليه من أسئلة في بلده ، فسمعنا عن « الواضحة » لعبد الملك بن حبيب وعن المستخرج لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتيبي وسمعنا عن تفسير الموطأ ليجي بن إبراهيم بن مزين ، والمختصر في الفقه لمالك بن علي القفطى ، ولعل هذا هو بداية التأليف في الأندلس وأن اتخذ صورة المخصصات في معظمه .

ولنا أن نتوقع إذن أن يكون فقه الإمام مالك ودراسة الموطأ وشروحه هي أساس ثقافة هذا البلد الإسلامي في هذه الفترة المبكرة وحتى منتصف أيام الإمبر محمد ابن عبد الرحمن ٢٣٨ - ٥٢٧٣ - ٨٥٢ - ٨٨٦ م .

وما دام فكر الأندلسيين قد دار حول الموطأ ، وهو ليس إلا مجموعة من القواعد الفقهية المستمدة من عمل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفقهاء المدينة المنورة ، فإن هذا سيدفعهم إلى تتبع حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومعرفة سيرته وسيرة أصحابه ، يعنى سيكون هناك رباط وثيق بين

(١) المراد ثورة المولدين الثانية بربرض أو ضاحية قرطبة والتي قاموا بها بسبب وضعهم كطبقة اجتماعية في عهد الأمير الحكم أواخر القرن الثاني الهجرى ، وانتهت بإحراق البربض وحرث أرضه وإخضاع سكانه بقوة . أنظر تفصيل ذلك عند : أ. د. أحمد مختار المبادئ : في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٢٩ وما بعدها الاسكندرية بدون تاريخ .

الحرص على المعارف الفقهية والعناية بالسيرة النبوية ، وسيكون كبار الفقهاء المالكيين أول من كتب في السيرة النبوية المباركة (١) ، وهذا يعني أن السيرة النبوية ستكون أول فروع التاريخ الإسلامي تدويناً بالأندلس .

وابتداء من القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي - سنرى في الأندلس إقبالا على سماع ورواية كتب أوائل المؤلفين المشرقين في السيرة النبوية والمغازي من أمثال مغازي موسى بن عقبة الأسدي المدني (ت ١٤١هـ - ٧٥٨م) ومغازي الواقدي (٢٠٧هـ - ٨٢٢م) ومغازي عبد الرزاق ابن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ - ٨٢٦م) وسيرة محمد بن إسحاق المطلبي المدني (١٥٠هـ - ٧٦٧م) وتهذيب هذه السيرة لعبد الملك بن هشام (ت ٢٠٨هـ - ٨٢٣م) وتاريخ خليفة بن خياط البصري (ت ٢٤٠هـ - ٨٥٤م) وكانت سيرة ابن هشام أو المشاهد - كما كانوا يسمونها في الأندلس - أروج هذه الكتب انتشارا ، ولها رواتها من بين الأندلسيين أنفسهم أمثال أبو عيسى يحيى بن يحيى بن عبد الله الليثي القرطبي (ت ٢٦٧ - ٨٨٠م) ، ومحمد بن يزيد بن رفاعة الألبيري (ت ٣٤٤ - ٩٥٥م) وكان يحضر رواية العالم الأول للسيرة جمع غفير من مختلف كور الأندلس ، وحضرها الخليفة هشام نفسه ٣٦٦ - ٣٩٩ - ٩٧٦ - ١٠٠٨م وقد دفع هذا الإقبال ذلك للعالم الأندلسي إلى كتابة مؤلف اختصر فيه سيرة ابن هشام .

ونظراً لأن كتاب تاريخ خليفة بن خياط قد نحص السيرة النبوية بجانب كبير من اهتمامه ، فقد لقي رواجاً عظيماً في الأندلس ، وقد اهتم بقي ابن محمد المحدث الكبير (ت ٢٧٦ - ٨٨٩م) بهذا التاريخ وعنى بروايته ، وقد عثر على نسخة من هذا التاريخ برواية هذا المحدث في بلاد المغرب نشرت

(١) أنظر :

أ.د. محمود علي مكي : السيرة النبوية في الأندلس ، بحث منشور في مجلة « الهلال المصرية » ، أغسطس ١٩٧٨م عدد خاص بمحمد صلى الله عليه وسلم .

هناك منذ سنوات ، كما عثر في بلاد المغرب أيضاً على مخطوط سيرة ابن إسحاق برواية اندلسية ، مما يدل على اهتمام الأندلسيين بالسيرة النبوية (١). نستطيع أن نقول اعتماداً على ما سبق أن المشرق كان قبلة الإندلسيين ، وأن علماءهم كانوا هم القدوة ومصدر النور والمعرفة ، وأصبح ينظر إلى التاريخ باعتباره من العلوم المهمة في تكوين ثقافة المسلم ، وبطبيعة الحال ليس المقصود التاريخ بالمعنى الذي نعرفه اليوم ، ولكن المقصود أن المثقف الأديب بالمفهوم العلم لا بد أن يحيط من كل علم بطرف ، وأن يكون عنده قدر من كل ألوان المعارف على اختلاف أنواعها ، ومن هنا فلما نتصور أن كتاب الفترة الأولى في الإندلس ، شملت مؤلفاتهم العديد من العلوم وليس التاريخ وحده ، وسينال ذلك التاريخ مستقبلاً حظاً وفيراً من عناية الأندلسيين بصورة جعلت مؤلفاً « كابن سعيد » يفخر بمعرفتهم للسير والتاريخ والأخبار فيقول : « وعلم الأدب المنشور ، من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات ، أبذل علم عندهم ، وبه يتقربون من مجالس ملوكهم وأعلامهم » (٢).

نتنقل بعد هذا المدخل الضروري إلى موضوعنا الأساسي .

(١) أنظر :

أ.د. محمود على مكي : المقال السابق الإشارة إليه آنفاً .

(٢) أنظر :

ابن سعيد : على بن موسى . . المغربي : المغرب في حل المغرب ج ٢ الترجمة رقم ٤٠٨

ص ٩٦ . القاهرة ١٩٥٥ م ، بتحقيق أ.د. شوقي ضيف .

كتابة التاريخ الأندلسي وتطور التأليف فيه :

فلنركز كلامنا منذ الآن على تطور التأليف وكتابة تاريخ إبلاد الأندلسية ونؤكد ما قررناه قبلاً من انحصار الكلام في تلك الفترة المبكرة على فتح الأندلس وأخبار تلك البلاد وما بها من عجائب وغرائب ، وقد تم ذلك بصورة شفوية أول الأمر وتناقلته المجالس العلمية والأدبية ، ورواه المحققون والفقهاء من أمثال عبد الله بن وهب وعبد الله بن هبة والميث بن سعد وغيرهم ، أخذوا عن رواية الرواة من القادة والجنود والتابعين الذين كان لهم شرف المشاركة في عملية الفتح في حد ذاتها وقد عمل بعض هؤلاء في مجال نشر الدعوة الإسلامية ، وبعضهم وفد إلى مصر وأخذ يروى في مجالسها أخبار الفتح ، ومع أنه لا أحد يمكن أن ينجر عن فتح الأندلس مثل هؤلاء العلماء المحاربين إلا أن الباقي من مروياتهم قليل جداً بل نادر جداً ، وهناك روايات ظهرت بدون نسبة في كتب المصريين وفي المراحل الأولى لكتابة التاريخ مثل كتابات عبد الله بن هبة والميث بن سعد ، وليس بعيداً أن تكون قد صدرت عن هؤلاء التابعين من العلماء المجاهدين ، فابن هبة واللبث كلاهما كان تلميذاً مباشراً أو غير مباشر لهؤلاء التابعين (١) .

وعلى كل حال فقد امتزجت مرويات التاريخ بغيرها من مرويات العلوم الثقافية الأخرى ، كما أن الأمر لم يقتصر على التابعين ، فكثير من علماء الأندلس تركوا بلادهم منذ فترة مبكرة للإقامة بمصر ، ومن هؤلاء طليبيب بن كامل تلميذ مالك بن أنس الذي أقام ومات واشتهر بالاسكندرية ، وكان ابن القاسم وعبد الله بن وهب من بين تلاميذه وكلاهما سيترك بصمات بعد ذلك بعمق سواء على أصول الفقه أو على التاريخ الأندلسي .

(١) أنظر :

Mahmud Kakki :

Egipto y la Historiografia Arabigo-Espanola, Revista del instituto de estudios Islamicos en Madrid. Vol. v, Madrid 1957, pp. 169 - 170.

ومنذ أواخر القرن الثاني الهجري - الثامن الميلادي - وأخبار فتح أسبانيا تشكل مادة مهمة ومفضلة يعلق عليها باستمرار القصاص والمحدثون والفقهاء المصريون في المجالس الدينية والأدبية وفي مساجد ميسر ، حيث كان الأسبان يحضرون دروسهم ، ويثقون ثقة مطلقة في أسانذتهم حتى في سماع تاريخ بلدهم نفسه ، فلنحاول التعرف على بعض هؤلاء وما قدموه .

موسى بن علي بن رباح :

ومن بين هؤلاء أعني تلاميذ التابعين الذين شاركوا في فتح الأندلس نذكر موسى بن علي بن رباح اللخمي ، المحدث المورخ الذي يعتبر من المصادر الجديرة بالثقة ، وفيما يتعلق بالناحية التاريخية ، يذكر ابن عذاري اعتماداً على الواقدي - قطعة مهمة منسوبة لموسى بن رباح يتكلم فيها عن دخول موسى إلى الأندلس بعد أن اشتعلت جمره الحسد عنده ضد طارق الذي كان سينال شرف الفتح وحده ، بعد ذلك يتكلم بالتفصيل عن مخطط موسى والوجهة التي اتبعها «طارق» في الفتح ، وفتح مدينة سالم «شدونه» Sidonia وميردا Merida ... الخ (١) .

وتلك رواية مهمة ، لأن مصدر معلومات موسى فيها ، هو نفس «علي بن رباح» الذي رافق موسى بن نصير في عملية الفتح ، فهو إذن شاهد عيان لها ولغيرها من الحوادث المهمة ورغم أن موسى ابن علي بن رباح لم يذكر في روايات أخرى ، إلا أنه يمكن التفكير في أن الكثير مما يرويهِ الليث بن سعد جاء عن طريقه ؛ ذلك أنه كان تلميذاً له .

أيضاً من تلاميذ موسى المهديين عبد الله بن هبة الذي تميز مروياته بالتفاصيل القصصية وذكر الأساطير العجيبة ، وقد روى ابن هبة عن أسبانيا رواية أعطاها له رجل اسمه «أبو الأسود» اعتماداً على ما نقله له شخص اسمه عمر بن أوس - أحد رجال موسى بن نصير ، وتدور حول الغلول الذي جرى لمغانم فتح الأندلس ، والذي يعنينا من هذه الرواية أن ابن هبة عرف بشكل مباشر بعض من اشترك في عملية الفتح الأندلسي .

(١) أنظر :

ابن عذاري المراكشي : أبو العباس أحمد بن محمد .

البيان المغرب ج ٢ ص ٣ طبعة ليني بروفندال وكولن ، لندن ١٩٤٨ م .

يأتى بعد ذلك العالم الأكثر شهرة وأهمية وهو الليث بن سعد ، وهو رغم شهرته فقهاً إلا أن له إهتماماً بالمرويات التاريخية ، وتتميز مروياته بأنها تفيض بالقصص الأسطوري ، ومن المؤكد أن الليث كان يحضر مجالس «ثواب ابن نوير» القاضي والقاص في نفس الوقت . وأول اتصال له بالأندلس كان مع «معاوية بن صالح» قاضي قرطبة الأكبر زمن عبد الرحمن الأول عندما كان معاوية في طريقه إلى مكة للحج ، ومكث بمصر مدة . بعد ذلك توافد على دروس الليث تلاميذ من مشاهير الأندلسيين مثل زياد ابن عبد الرحمن المعروف بشيطون ، ويحيى بن يحيى ، وبفضل هؤلاء «أصبح لليث شهرة في الأندلس ، تفوق شهرته في بلده نفسه كما يقول بحق لوبث» أورثيث (١) . وقد أخذ عنه هؤلاء ليس أصول الفقه فحسب بل والقصاص التاريخي ، ولليث كتاب في التاريخ يغلب على الظن أن أفاد منه الكندي في الولاة والقضاة بمصر ، وأكد ابن النديم وجوده (٢) . يغاب على الظن أن القطع المتوجودة في الكتب اللاحقة عبارة عن فقرات من هذا الكتاب المفقود .

والمصادر القديمة التي اتممت بقصص الليث ، وعنها أخذ المؤلفون بعد ذلك ، ثلاثة وهي :

- ١ - حولية عبد الملك بن عيب ، وقد جاء فيها ذكر الليث مرات ثلاثة ، اثنتان منها من خلال تلميذه ابن وهب والثالثة لم يتحدد ناقلها .

J. Lopez Ortiz

(١)

La recepción de la escuela Malequí en España. En Anuario de historio del Derecho Espanol, Vol. VII, p. 21 Madrid 1930.

Al Bert Gateau, Conquete de l'Afrique du Nord et de (٢)

l'Espagne.

نشر وترجم نص ابن عبد الحكم أنظر : المقدمة ص ٢١ ، وأنظر : ابن النديم :

أبو نرج محمد بن إسحاق . الفهرست ص ٢٨١ ، طبعة القاهرة : ١٩٢٩ م .

٢- فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وقد ذكر الليث أكثر من مرة من خلال تلميذه عبد الملك بن مسلمة ويحيى بن بكير .

٣- الإمامة والسياسة المنسوب خطأ لابن قتيبة ، وليس في هذا المصدر ذكر لمن نقل عنهم الليث ، كما أن مضمون الأخبار يختلف عن مضمون ما في المصدرين السابقين .

وعندما لا يذكر الليث مصدر معلوماته ، فإنه من الممكن التفكير في موسى بن علي بن رباح (ت ١٦٣ هـ = ٧٧٩ م) أوفى معاوية بن صالح أما عن مضمون الروايات فإنها تعالج الغنائم التي حصل عليها موسى ابن نصير في حملاته بأسبانيا ولا تزيد على ذلك أي أنها تنحصر في الكنوز التي عثر عليها موسى مع مبالغات لا يمكن تصديقها ، فهي تذكر - مثلاً - أن عدد خمس الأسرى الذين استولى عليهم موسى وولديه عبد العزيز ومروان ، وصل إلى ستين ألفاً ، وابن حبيب أول من ذكر هذا الخبر وعنه أخذه اللاحقون . أما البسط التي استولوا عليها فهي سقوف من الذهب والفضة وياقوت ومجوهرات ، وكانت البسط ثقيلة الوزن حتى أن البربر اضطروا لتقسيمها قطعاً حتى يمكن حملها ، وكانت هناك كنوز من الأحجار الكريمة ، وكانت حوائط الكنائس مصنوعة من طبقات من المرمر وخلفها صفائح من الذهب والفضة .

لقد وصلت هذه الأساطير عن طريق الليث ، وربما كان هو المخترع لتلك الأسطورة المتعلقة ببيت الأقفال في طليطلة . وقد ذكر ابن عبد الحكم هذه الأسطورة ونسبها إلى والده عبد الله وإلى هشام بن إسحاق (١) ولكن ابن حبيب يقدم تفصيلات وأعاجيب أكثر ويذكر أن مصدرها الليث من خلال تلميذه بن وهب ، وليس هناك تعارض بين الروایتين ذلك أن ابن وهب وعبد الله ابن عبد الحكم ، كلاهما كان تلميذاً لليث .

(١) أنظر : ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله .

فتوح مصر ص ٢٠٦ ، نشره Charles Torrey New Haven, 1922 طبعة
لندن سنة ١٩٢٠ م .

أسطورة أخرى انتشرت في المصادر المتأخرة تتعلق بمائدة «سليمان» رواها ابن حبيب من خلال ابن وهب ورواها ابن عبد الحكم من خلال يحيى ابن بكير (١) ، وهذه الرواية هي أساس البيانات والتفاصيل العجيبة التي ضخمت الأسطورة وجعلتها جزءاً من ألف ليلة وليلة .

فالليث يجتمع فيه راوى القصص العجيبة والأخبارى المدقق ، ففي مروياته خليط عجيب من الأساطير والأحداث التاريخية ، وعنه تأتي كل روايات الأحداث المهمة في تاريخ السنوات الأولى لوجود المسلمين بالأندلس والموجودة عند ابن عبد الحكم (٢) حيث لا يكتفى بذكر السنة بل يذكر الشهر واليوم كذلك ، وهذا التحديد يبدو واضحاً في تناوله للأحداث التالية :

— عودة موسى بن نصير الى المشرق ودخوله القسطنطينية .

— إغتيال عبد العزيز بن موسى في أسبانيا .

— موت عبد الرحمن بن عبد الله العكبي والى أسبانيا .

— صعود عبد الملك بن قطان الى السلطة في الأندلس .

— موت بلج بن بشر والى أسبانيا ، وتنتهى هذه المرويات عند

سنة ١٢٥ هـ - ٧٤٢ م .

وجاء بعد الليث تلاميذه ، ولا بد أنهم نهجوا نهج أستاذهم فاهتموا بغرب العالم الإسلامى ، وبعضهم أضاف لعمل أستاذه وأدخل عليه تطويراً وبعضهم الآخر اكتفى بالنقل عنه (٢) .

(١) أنظر ابن عبد الحكم د. عبد الرحمن بن عبد الله .

فتوح مصر ص ٢٠٦ ، نشره Charles Torrey .

(٢) أنظر : ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله .

فتوح مصر وأخبارها ص ٢٠٤ - ٢٢٥ من طبعة تورى .

تلك هي المرحلة الأولى من مراحل رواية التاريخ الأندلسي ، مركزها مصر كما اتضح ، حقيقة لم نستطع العثور على شيء من مرويات ابن طهية عن الأندلس ، فكلها مفقود ، ولا شيء فيما يوجد بين أيدينا من مرويات عبد الله ابن وهب عن الأندلس ، وإن كان ما بقي من كتاب عبد الملك بن حبيب - وهو أول مؤرخ أندلسي كما ستعرف - يدين إلى كثير من جزئياته إلى ذلك المؤرخ المصري أعني عبد الله بن وهب ، لكن لدينا شيء مما رواه الليث ابن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري (ت ١٧٥هـ - ٧٩١م) خاصاً بالفتوحات في الأندلس ، جاءنا عن طريق تلاميذه على النحو التالي :

عبد الله بن عبد الحكم - والد المؤرخ المشهور - مصدر أسطورة بيت الأقبال بطليطلة رواها عن أستاذه الليث فيما يبدو .

يحيى بن بكير : كل الأعمال المهمة إلى حدثت بإسبانيا والتي تحدد بالتواريخ جاءت عن طريق يحيى عن أستاذه الليث ، وإن كان يحيى قد عرف على أستاذة آخرين يسروا له بعض المعلومات عن الأندلس ، فمخبر خروج الحملة من برقة إلى أسبانيا ، أخذه يحيى عن غريب بن مروان ، وهو مغربي فيما يبدو ، وابن الفرضي يترجم لعل بن رباح ، التابعي الذي دخل الأندلس مع موسى بن نصير ، اعتماداً على يحيى بن بكير (١) .

لقد تناول يحيى بن بكير عن الليث بن سعد - في عدة روايات - غنائم المسلمين في الأندلس ، وسبي موسى بن نصير مائة ألف ، ومثلها سبأها ابنه مروان ، وقيل لليث من هم (أي الأسرى) قال : البربر ، ثم توالى الفتوح في الأندلس على يد موسى في عهد الوليد بن عبد الملك بعد وفاة عبد الملك

(١) أ.د. محمود على مكى : مصر والمصادر الأولية للتاريخ الأندلسي منشور بالإسبانية في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرد « العدد الخامس ١٩٥٧ م » ، ١٨٢ - ١٨٣ »

ابن مروان يوم الخميس لأربعة عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٨٥هـ - ٧٠٥م وشدة اعجاب الوليد بموسى وارتفاع منزلته لديه (١).

كذلك روى يحيى بن بكير عن الليث ما يتصل بمائدة سليمان وغيرها من المغامرات (٢) ١٠.

كما استعرض ابن عبد الحكم برواية ابن بكير عن الليث ولاية أفريقية وتعاقبها وتواريخ وفاتهم بدقة ، وكذا ولاية الأندلس (٣) .

عثمان بن صالح :

وهناك رواية آخر هو عثمان بن صالح ، وقد درس على ابن لهيعة والليث وابن وهب ، وتأثر بهم في حبه للأخبار التاريخية وزود ابن عبد الحكم بالكثير مما يخص الأندلس ، وتميز بسعة المعلومات ونضح الأخبار وترك الخرافات إلى حد ما للدرجة أن ما رواه ذلك الرواية عن فتح الأندلس خاصة يعتبر أساس ما كتبه كافة المؤرخين عنها ، إن القسم الأكبر من كتاب ابن عبد الحكم عن إسبانيا من رواية عثمان بن صالح ، وهو لم يذكر مصدره ولكن جوته Gateau يستنتج من مروياته أنها لا بد أن تكون قد جاءت عن طريق الليث وابن لهيعة وابن وهب وربما غيرهم ، فمع عثمان اتجه التاريخ الأندلسي خطوة نحو النضج ومال نحو الدقة والتحديد كما أسلفنا .

ويعتقد أن ابن عبد الحكم في كتابة فتوح مصر ، كان ينقل مباشرة من كتاب لعثمان بن صالح ، فكثير من رواياته عنه ، خاصة في فتح الأندلس ، مصدره بـ « قال عثمان بن صالح » ورغم أن « عثمان ابن صالح » قد رحل إلى

(١) أنظر : ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ص ٢٠٤ .

(٢) نفسه ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٣) نفس المصدر صفحات : ٢١٦ - ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، وأنظر :

عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح على :

الدراسات التاريخية في مصر الإسلامية في القرن الثالث الهجري رسالة ماجستير مخطوطة مقدمة لكلية دار العلوم ، صفحات : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٤٣٣ من المجلد الأول .

المدينة المنورة ، إلا أن تأثير أساتذتها لم يظهر فيما خلفه من آثار تاريخية ، وبقي تأثيره مصرياً خالصاً متمثلاً فيما ذكرنا له من أساتذة ، أما آثارة التاريخية فقد دارت حول جهود « طارق بن زياد » في فتح الأندلس ، وحول موسى ابن نصير ، وأحداث جرت لابنه عبد العزيز هناك (١) .

لقد تكلم عن حملة « طارق بن زياد » ومقابلته « للزريق » « رودريجو » Rodrigo وعن فتح مغيث الرومي لقرطبة (وهو أول من لفت النظر للدور الذى لعبه مغيث في عملية الفتح) وفتح طارق لطليطلة ، وكيفية حصوله على مائدة سليمان ، وأضاف عبارة « التى يزعم أهل الكتاب » - الشيء الذى يدل على شكه في صحة تلك النسبة - بعد ذلك يتكلم عن الخلاف بين موسى وطارق ودخول موسى اسبانيا ثم رجوع الاثنين إلى المشرق ومثلها بين يدي الخليفة سليمان ، ثم يتكلم عن إمارة عبد العزيز بن موسى وتفاصيل المؤامرة التى أنهت باغتياله .

والرجل - برغم إيجازه - يستبعد الاساطير والمبالغات والغريب ، ويعتبر أول من عالج فتح الأندلس بهذه الدقة ، ووضع الإطار الذى بنى عليه كل المؤرخين المسلمين الذين تناولوا تاريخ الأندلس بعد ذلك وأن نسيه من من اتوا بعده بدون وجه حق (٢) .

عبد الملك بن مسلمة

نمضى بعد ذلك فنصادف رواية آخر هو عبد الملك بن مسلمة ، العالم المصرى الذى تتلمذ على أعلام الاساتذة المصريين : الليث بن سعد وابن لهيعة

(١) أنظر : عبد الحكم :

فتوح مصر ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

- عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح على :

الدراسات التاريخية في مصر في القرن الثالث الهجرى ص ٩١ ، ٩٢ ، من المجلد الثانى .

(٢) أنظر : أ. د. حود على مكى :

مصر والمصادر الأولية للتاريخ الأندلسى ، بحث منشور بالإسبانية في مجلة المعهد المصرى

للدراستات الإسلامية بمدير ، أسبانيا ، المجلد الخامس ١٩٥٧ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

وابن وهب ، وترك لنا مرويات تتعلق بالأندلس على النحو الآتي :
من غنائم الأندلس :

(أ) روى عن الليث بن سعد أن السلسلة من غنائم المسلمين هناك كانت تنظم من الذهب والؤلؤ والياقوت والزبرجد ، وكان البربر لا يستطيعون حملها فيضربون بالفأس في وسطها ، ويحملها جماعة وهم مثقلون .

(ب) عن الليث روى عبد الملك أن رجلا جاء إلى موسى بن نصير لما فتحت الأندلس وأخبره أنه يريد أن يدلّه على كنز فذهبوا معه فوجدوا من الزبرجد والياقوت ما لم يروا مثله ، فأرسلوا إلى موسى أن يأتي ليرى بنفسه .

(ج) ونقل عن الليث أن موسى بن نصير كتب إلى الوليد بن عبد الملك حين فتح الأندلس : أنها ليست بالفتوح ولكنه الحشر .

(د) روى عبد الملك بن مسلمة عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال : لما فتحت الأندلس ، أصاب الناس غنائم كثيرة ، فغلوا فيها غلولا كثيرة ، حملوها في المراكب ، فكان جزاؤهم أن أغرق الله بهم مراكبهم وسط البحر .

(هـ) روى عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة قال : سمعت أبا الأسود يقول : سمعت عمرو بن أوس يقول : بعثني موسى ابن نصير أفتش أصحاب عطاء بن رافع مولى هذيل حين كسرت مراكبهم ، فوجد الواحد منهم قد خبأ الدنانير في خرقة ووضعها بين خصصتيه ، ومررت برجل يتكئ على قصعته ، فذهبت أفتشه ، فنازعني فغضبت وأخذتها وضربت بها ، فوجدت الدنانير منتشرة منها ، فذهبت أجمعها (١) .

سعيد بن عفير :

خطوة أخرى نحو استواء التلوين الأندلسي على قدمه ، وميله نحو وضوح

(١) أنظر : ابن عبد الحكم :

فتوح مصر وأخبارها ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

المعالم والاستقلال تتمثل في مرويات عالم مصرى آخر عن الأندلس هو سعيد بن عفير .

وهو تلميذ بارز للأعلام الثلاثة الكبار : ابن هبة والليث وابن وهب ، وعندهم أخذ ، وكان له اتصال مباشر مع بعض الأفارقة والأندلسيين الذين لهم معرفة بتاريخ أسبانيا مثل من يسمى « شبيب الأندلسى » وواضح أنه من الأندلس ، وإبراهيم بن أبان بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم من الأسرة الأموية الحاكمة بأسبانيا (١) ، بالإضافة إلى أن بعض تلاميذ مالك ابن أنس زملاء ابن عفير مثل عمر بن سملك الأفريقى الذى أمده بترجمة لموسى بن نصير وأخرى لتابعى دخل أسبانيا زمن الفتح اسمه « حباب بن أبى جيله » والبرجمتان عند ابن الفرضى (٢) .

ويذكر المؤرخون المصريون دائماً كتاب سعيد بن عفير فى التاريخ ويقتبسونه منه ابتداء من أبى عبد الحكم وحتى السيوطى ، كما يذكر المؤرخون الأفارقة تاريخه عندما يتناولون الفتح الإسلامى لبلدهم ، وهناك إشارات عند ابن الفرضى والحميدى (٣) تنالج تاريخ الأندلس ، مما يرجح أن الرجل كتب كتاباً عاماً مثل مصر والشمال الأفريقى وأسبانيا ، وكانت لهذا العالم مكانة عالية حتى أن والى مصر « عبد الله بن طاهر » يجعله من معالم مصر وعجائبها ، يقول :

(١) ابن الفرضى : أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف .

تاريخ علماء الأندلس الترجمة رقم ٥٧٥ .

الحميدى : أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله .

جنوة المقتبس ، الترجمة رقم ٥٠٧ والترجمة رقم ٢٢٦ .

(٢) أنظر : ابن الفرضى :

تاريخ علماء الأندلس الترجمة رقم ١٤٥٤ ، والترجمة رقم ٣٨١ ، طبعة كودبرا ،

مدريد ١٨٨٠ ، ١٨٨٢ م

(٣) أنظر : ابن الفرضى :

تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ١٦٤ ، ١٧٢ .

الحميدى : جنوة المقتبس ص ٢٢ .

« العجائب التي رآها في مصر هي النيل والأهرامات وسعيد ابن عفير » (١) .

ولا عجب فقد كان للرجل شخصيته ومكانته ، وقد ذاع كتابه كثيراً في الأندلس ، ومن خلال شهادة بن خير الأشبيلي (٢) نعرف أنه كان منتشرأ جداً في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) (٣) .

وأيأ ما كان الأمر فإن لسعيد بن عفير المرويات التالية :

(أ) حدثنا ابن عفير أن ابنة جرجير صارت لرجل من الأنصار في سهم فأقبل بها منهرفاً قد حملها على بعير له ، فقال أبياتاً من الرجز يصف فيها ما ينتظر ابنة جرجير من السبي وأعمال الإماء (مثل حمل الماء من قباء في القرية) فسألت ما يقول هذا الكلب ؟ فأخبرت ، فألقت بنفسها من البعير فدقت عنقها وماتت (٤) .

(ب) حدثنا ابن عفير أن أهل سردانية ، لما توجه المسلمون لفتح بلادهم ، عمدوا إلى ميناء لهم بالبحر فسدوه ، وأفرجوا عنه الماء ، وقذفوا آنية ذهبهم وفضتهم فيه ثم أجزوا عليه الماء وتوجهوا إلى كنيسة لهم ، فجعلوا لهم سقفاً دون سقنها ، وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين ، فنزل جندي مسلم يفتسل ، فعثر على قطع من الفضة ، فأخرج المسلمون الأموال من ذلك الميناء ، ودخل رجل مسلم إلى الكنيسة ، فرأى بها حماماً ، فأراد اصطیاده ببندقية كانت معه ، فأخطأ مكان المال فحجأ

(١) أ.د. محمود على مكى : المرجع المشار إليه آنفاً ص ١٨٥

(٢) ابن خیر الأشبيلي : أبو بكر محمد بن خیر :

فهرسة ما رواه عن شیوخه ، ج ٩ ، ١٠ من المكتبة الأندلسية نشره كوديرا ، مدريد سنة ١٨٩٣ هـ - ١٨٩٥ م ص ٢٢٨ .

(٣) أنظر بحث أ.د. محمود على مكى المنشور بالإسبانية في مجلد المصري للدراسات المعهد الإسلامية بمدريد . والمشار إليه فيما سبق ص ١٨٥ - ١٨٨ .

(٤) أنظر : ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ص ١٨٤ ، ١٨٥ . أما الرجز فهو :

يابنة جرجير تمشى عقبك أب عليك بالحجاز ربك

لتحملن من قباء قربك

بالسقف ، فانها المال وتساقط ، وقد غل كثير من الجند هذه الأموال ، وتحايلاوا على ذلك بشتى الطرق ، من ذلك أن الرجل كان ينتزع نضل سيفه فيطرحه ، ويملاً الجفن غلولا ، ويضع قائم السيف على الجفن ، وفي حال عودتهم غرقت المراكب بهم ، ولم ينج منهم إلا من لم يغل وهما : أبو عبد الرحمن الحبكى ، وحش بن عبد الله الصنعاني (١) .

ويعنى بنا صاحب «تاريخ التراث العربى» خطوة أبعد من ذلك فيحدد لنا ما خلفه ذلك المؤرخ العظيم من كتب على النحو التالى :

١- كتاب أخبار الأندلس ، وتلك هى المرة الأولى التى تصادف فيها كاتباً يخصص كتاباً عن أخبار الأندلس ، وإن لم يكن ذلك المؤرخ أندلسياً ، وهذا الكتاب مفقود للأسف ، ومع ذلك فقد وصلت منه مقتبسات فى «فتوح مصر» (٢) ، وفى «رياض النفوس» للمالكى ١١/١ - ١٢ و«الإكمال» لابن ماكولا ١١/١ ، ٢٧٢/٢ ، ٢٩١/٣ ، ٦٥/٤ ، ٦٥٤ ، ٣٥٦ ، و«معالم الإيمان» للدباغ ٣٢/١ - ٣٣ .

٣- تاريخ فتح دمشق : ذكره بن عساكر فى تاريخ مدينة دمشق ٤٩٧/١ ، وأغلب الظن أن البخارى استخدم كتبه فى الجامع الصحيح ٤٣ مرة (٣) .

(١) أنظر : ابن عبد الحكم .

فتوح مصر . . ص ٢٠٩ .

(٢) أنظر : عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح على :

الدراسات التاريخية فى مصر الإسلامية فى القرن الثالث الهجرى ص ١٤٨ من المجلد الثانى .

(٣) أنظر : ابن عبد الحكم .

فتوح مصر وأخبارها ص ١٨٤ وما بعدها من طبعة تورى .

(٤) أنظر : Buhkayn 269 . وأنظر كذلك : الإصابة لابن حجر ١-١٣٩ -

١٧٨ ، والعلل لابن أبى حاتم ١-١٦٣ ، وهناك مقتبسات منه حول تاريخ مصر فى معجم البلدان لياقوت ٣-٢٩١ - ٢٩٢ ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١-٨٤٤ ، ٣-٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٥٣ ، ٦٦٦ ، ٩٩٧ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٣٣٥ .

وأنظر فى ذلك كله : فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى ج ١ ص ٥٨٦ ، ترجمة للعربية فى مجلدين أ.د. محمود فهمى حجازى ، أ.د. فهمى أبو الفضل : القاهرة ١٩٧٧ م .

ويلاحظ أن كثيراً من أحداث مصر وفتوح الأندلس قد نقلت عن ابن عفر دون ذكر الإسناد ، وهذا يدل على الثقة به والنقل من كتابه مباشرة ، بسبب ما تميز به من تدقيق وأمانة في نقل الرواية التاريخية ، ولعل هذا هو السبب وراء نقل ابن عبد البر عنه في كتابه «الاستيعاب» كما استفاد منه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» وأبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي في رواية عمر بن الخطاب وموقفه من يهود خيبر وفدك (١) .

ولابد من وقفة مع سعد بن عفر خاصة ؛ لنؤكد أنه أول من عرفنا أنه خصص عملاً لأسبانيا الإسلامية عنوانه «أخبار الأندلس» وقد ذكره المؤلفون الأسبان بكل التقدير ، ولكن هذا الكتاب مفقود كما أسلفنا لم يبق منه إلا قطعاً مقتبسة في المصادر اللاحقة التي ألحقت إلى أهميته ، ومن المحتمل أن يكون كتابه عن أسبانيا جزءاً من كتاب في التاريخ العام الذي يشمل مصر والشمال الأفريقي والأندلس .

وفيما يتعلق بالجزء الخاص بتاريخ الأندلس ، نركز على بعض الإشارات التي قام بها ابن الفرضي والحميدى والتي تمثل تقدماً جديداً ومهماً للأعمال السابقة ، وهذا يبرهن لنا على تحديد بعض مصادر معلوماته ، بالإضافة إلى دراسته مع أساتذة مصريين ممن اهتموا بالأندلس مثل ابن لهيعة والليث وابن وهب - كما يؤكد ذلك من ترجموا له - كما أن ابن عفر كان له اتصاله المباشر مع بعض الأندلسيين والأفارقة الذين لهم معرفة بتاريخ أسبانيا .

أول هؤلاء المقلدين له الأخبار يسمى شهاب الأندلسي ، الذي لا نعرف أكثر من اسمه لكن يبقى مؤكداً أصله الأسباني .

الثاني أسباني آخر اسمه إبراهيم بن أبان بن عبد الملك بن عمر بن مروان ابن الحكم ، لقد ذكرنا الشجرة النسبية الكاملة لهذه الشخصية لأنها توحى لنا

(١) أنظر : عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح عل :

الدراسات التاريخية في مصر الإسلامية في القرن الثالث الهجري المجلد الثاني ص ١٥٢ .

بشيء مهم : توحى أنه أموى من الأسرة الحاكمة في أسبانيا والتي أعادها لحكم الأندلس الشجاع عبد الرحمن الأول : الداخل .

أكثر من هذا ، إن شخصية عبد الملك بن عامر ، الجد المباشر لأستاذه ابن عفير ، ليس مجهولا لنا ، لقد كان واحداً من الشخصيات المهمة في بلاط عبد الرحمن الأول ، وقد خصص له كل من ابن الأبار والمقرئ ترجمة طويلة ، وعندما تمكن عبد الرحمن الأول من إعادة الحكم الأموى بأسبانيا ، كان قد استحث كل أفراد أسرته ، الذين يضطهدهم العباسيون في المشرق على الهجاء إلى الأندلس . عندئذ كان عبد الملك قد قرر الهجرة من مصر إلى الأندلس حيث وصلها عام ١٤٠ هـ - ٧٥٧ م مع عشرة من أبنائه وكان مقاتلاً شجاعاً عاون عبد الرحمن بشكل قطعى في تثبيت سلطته ضد الثورات التي كانت تهدده آنذاك ، واعتزافاً لخدمته عينه أول أمير مستقل على الأندلس والياً على اشيلية ، فأدى مهمته بكفاءة . عبد الملك هو الذى استعجل عبد الرحمن أن يقطع كل العلاقات التي تربطه سياسياً بالخلافة العباسية ملغياً - بعد عشرة أشهر - الخطبة التي كانت تتم في الصلوات العامة باسم الخليفة العباسي المنصور ، وقد أكد بهذا استقلال أسبانيا الكامل في مواجهة امبراطورية العباسيين الكبيرة ، ولم يتأخر عبد الرحمن في منحه هو وأبنائه أعلى المناصب في حكومته ، أكثر من هذا ، زوج ابنه وولى عهده هشام من ابنة عبد الملك .

أما عن أبان والد مصدر معلومات ابن عفير ، وابن عبد الملك المذكور ، فليست لدينا معلومات كافية ، لكن يمكننا أن نتخيل شهرته وتأثيره على بلاط هشام الأمير الأموى الثانى ، إذا وضعنا في الاعتبار أنه لم يكن أقل من صهر الأمير نفسه .

هذا العرض لنسب إبراهيم بن أبان يلقى أمامنا ضوءاً جديداً على عمل ابن عفير الذى اعتمد ، وفقاً للمؤلفين الأندلسيين ، على معلومات إبراهيم ابن إبان المذكور ، ويمكن أن نؤكد أن هذه الشخصية ، الصهر (ابن الأخت

السياسي (لهشام الأول ، عاشت في القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي)
وأوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) يعني في زمن حكم
الحكم الثاني ، وربما أدرك عصر عبد الرحمن الثاني ، ونفترض - دون
ما تأكيد - أن مصادر معلوماته يمكن أن تتناول حكم بني أمية في الأندلس ،
ربما حتى عصره ، وسيكون ذلك لإسهام كبير في تاريخ الأندلس الذي
كتبه مصريون .

مصدر ثالث لابن عفير يوجد في بعض القطع التاريخية الموجودة عند
ابن الفرضي عند ترجمته لمحارب زاهد ، قدم من برقة (ليبيا) ومات في
الأندلس محارباً ضد المسيحيين ، مصدر بن عفير في الجزء المذكور هو
ظمين بن عرابي ، والذي يبدو أنه كان من الشمال الأفريقي .

في الفقرات التي استعملها ابن الفرضي من كتاب ابن عفير توجد فقرة
تعلق بمولى للعاتج موسى ابن نصير يسمى سمكة ، وابن الفرضي لا يضيف
معلومات أكثر تساعد على معرفة أفضل لهذه الشخصية ، لكن وجدت
معلومات أخرى مفيدة في هذا الصدد في المصادر الأفريقية .

في الترجمة الشخصية لأبي العرب ابن تميم حول طبقات العلماء
الأفارقة ، يوجد ذكر للمسمى عامر بن سمك بن حميد ، مولى موسى
ابن نصير . إنها تعرض لابن المذكور سابقاً عند ابن الفرضي ، ويضيف
تميم أن عمر بن سمك كان تلميذاً للملك بن أنس . وإذا وصعنا في الاعتبار
أن سعيد بن عفير درس أيضاً على نفس الأستاذ ، ترى أن كليهما يمكن أن
يعرف الآخر ، فقد كانا رفيقاً دراسة ، ومن الممكن أن يكون عمر
ابن سمك قد زود ابن عفير ببعض المعلومات عن تاريخ أفريقية حيث موطنه
الأصلي ، وعن فتح الأندلس بسبب علاقة الولاء التي تربط أسرته مع
موسى بن نصير ، أنه يمكن أن نقول أنه كان تلميذاً أفريقياً للملك ،
الشيء الذي يسر لابن عفير ترجمة أبيه سمك التي أشار إليها ابن الفرضي .
ويبدو أنه ترجع إليه أيضاً البيانات الموجودة في ترجمتين اقتبسهما

ابن الفرضى من عمل ابن عفير وتناول موسى بن نصير والتابعى حبان ابن أبى جبلة الذى دخل الأندلس .

تقليد آخر سار عليه ابن عفير واستخدمه من قبل ابن عبد الحكم الذى كان تلميذه ، فى القسم الخاص بالأندلس ، عندما تكلم عن الفرق الذى كان بعض المسلمين ضحايا له ، والذى اعتبر قصاصاً عادلاً من الله بسبب الغلول التى ارتكبوها عند تقسيم الغنائم ، قال ابن عبد الحكم ، إن التقليد المصرى ، متمثلاً فيما قدمه بن عفير ، يرفض أن المسلمين فى الأندلس كانوا ضحايا هذا الفرق ، لكنهم هم الذين باشرُوا فتح «سردنية» ، نفس المؤلف يعرض تقليد المندبيين هذا المتمثل فى مالك بن أنس ، وهذا النص يفيد تماماً ، لأنه يبرهن لنا على أهمية ابن عفير باعتباره شخصية مشهورة فى التقليد المصرى ، ثم لأنه - فوق ذلك - تميز قاطع وواضح بين التقاليد المختلفة المتعلقة بالتاريخ الغربى فى الأندلس .

لقد انتشر العمل التاريخى لابن عفير كثيراً فى أسبانيا ، ومن خلال شهادة بن خبير الأشبيلي (١) نعرف أنه كان ذائعاً جداً حتى القرن السادس للهجرة الثانى عشر للميلاد حسبما أسلفنا (٢) .

تاريخ الأندلس فى أخبار مصر لابن عبد الحكم :

أخيراً أخصص ابن عبد الحكم ، القسم الخامس من كتابه الشهير والمهم «أخبار مصر» ، لتاريخ الأندلس ، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى احتفاظه بالقسم الأكبر من المرويات المصرية لتاريخ الأندلس ، وهو أقدم الأعمال الباقية التى تناول هذا الموضوع ، باستثناء كتاب ابن حبيب الذى سنعرض له فيما بعد . وتحت عنوان «ذكر فتح الأندلس» ذكر ذلك المؤرخ الكبير : أعنى بن الحكم ، الرواية التالية :

(١) أنظر ص ١٥٢ من هذا البحث .

(٢) أنظر : أ.د. محمود على مكى :

معه بالإسبانية فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمديره إلمار إليه أكثر من مرة

ص ١٨٥ - ١٨٨ .

(أ) ولي موسى بن نصير على طنجة مولاه طارق بن زياد ، ثم انصرف هو إلى القيروان ، رابط طارق في طنجة سنة ٩٢ هـ ، وعقدت صداقة وطيدة بين طارق ويليان حاكم سبتة الذي كان ناقماً على لذريق ملك الأندلس لاعتدائه على ابنته ، وقد أظهر يليان استعداداه لمساعدة العرب على العبور إلى الأندلس ، وبعد استيثاق طارق من صدق الرجل ، جعله «يليان» في مراكزه ودخلوا بلاد الأندلس على أنهم تجار .

(ب) زحف طارق بجيشه إلى قرطاجنة ، ثم التقى مع جيش لذريق في موضع يسمى «شدونة» على واد يعرف بوادي أم حكيم ، وانهمز لذريق ، فقتل ومن معه ، واتجه طارق بن زياد إلى قرطبة ومنها إلى طليطلة فدخلها ، وعثر هناك على مائدة سليمان بما حوته من الجواهر النفيسة الغالية .

(ج) علم موسى ابن نصير بأخبار فتوحات مولاه طارق وغنائمه بالأندلس بعد أن كتب طارق إليه بذلك ، وأبلغ موسى بن نصير الخليفة الوليد بالانتصارات والغنائم التي حققها المسلمون ، وأمر طارقاً ألا يجوز قرطبة ، ولحق به موسى بن نصير وشمته شتماً قبيحاً ووبخه ، فترضاه طارق فرفض منه ، وسلم طارق الغنائم إلى موسى ، فهو مولى له ، ويفتح باسمه البلاد .

(د) حكى طارق بن زياد لمغيث الرومي - غلام الوليد - ما فعله معه موسى بن نصير بعد أن تم فتح الأندلس على يد طارق ، وطلب إليه أن يبلغ الوليد بذلك ، ووعدته أن يعطيه مائة عبد ، حكى مغيث للوليد ما جرى ، فأرسل يتوعد موسى ويطلب إليه إطلاق طارق ووفى طارق لمغيث بما وعد .

(هـ) بعد إتمام فتح الأندلس على يد طارق وموسى ، خرج موسى ابن نصير بالغنائم والجواهر ، وأقام على الأندلس ابنه عبد العزيز وعلى أفريقية ابنه عبد الله ، ثم قدم إلى مصر ، أرسل إليه الوليد يتعجله (فقد كان مريضاً) بينما سليمان ولي عهده يتمله ، فيقال وصل والوليد حي ،

وتنازع مع مولاه طارق بن يديه ، ونسب كلاهما الصلح (الفتح) لنفسه ،
صدق الوليد طارقاً وأعظم جائزته ، وفي رواية ، وصل موسى بعد موت
الوليد ، فكانت الغنائم لسلیمان بن عبد الملك .

وللمرة الأولى ترى مؤرخاً يتجاوز أحداث فتح الأندلس ، ويدكر
ولاية أفريقية والأندلس بعد موت موسى بن نصير ، فيقدمهم بالشكل التالي :

(أ) عبد العزيز بن موسى بن نصير : ولى الأندلس بعد خروج والده ،
وتزوج امرأة نصرانية يقال لها ابنة لذريق ، وقد أثرت التكهنات والشائعات
حوله بعد زواجه منها فقبيل هي نصرته ، وقيل أنه تعمد جعل الباب للداخل
عليه قصيراً ليدخل الناس عليه منكسى الرؤوس كأنهم يسجدون له ،
كما كان يسجد للملوك قبله في الأندلس ، واتهموا امرأته النصرانية بأنها
هي والتي أوغزت له بذلك وألبسته تاج الملوك ، ونتج عن ذلك أن ثار به
كبار الجند مثل حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، وزباد بن النابغة القيمي
وغيرهما فقتلوه .

(ب) صرف سليمان بن عبد الملك عبد الله بن موسى بن نصير عن
أفريقية وولى مكانه محمد بن يزيد القرشي .

(ج) قدم بشر (بن صفوان الكلبي) على هشام بن عبد الملك ١٠٥ -
١٢٥ هـ - ٧٢٣ - ٧٢٤ م بالهدايا ، فرد على أفريقية ، وواصل تصفية
آل موسى بن نصير وتعذيبهم ، وولى على الأندلس «عنبسة بن سحيم الكلبي»
وعزل عنها «الحر بن عبد الرحمن القيسي» .

(د) بعد وفاة بشر بن صفوان (١٠٩ هـ - ٧٢٧ م) بإفريقية ولى هشام
ابن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن القيسي سنة ١١٠ هـ - ٧٢٨ م وولى
الأندلس «عبد الرحمن بن عبد الله العكبي» الرجل الصالح المجاهد الذي استشهد
في غزوة بلاد الفرنج ، فولى بعده عبد الله بن قطن سنة ١١٤ هـ - ٧٣٢ م .

(هـ) ولى أفريقية بعد ذلك عبيد الله بن الحبحاب سنة ١١٦ هـ - ٧٣٤ م
فاستعمل على الأندلس عقبة بن الحجاج ، ويقال لما هلك عقبة بالأندلس ولى

عبيد مكانه عبد الملك بن فطين ، وانتفضت البربر على عبيد الله بن الحبحاب بقيادة ميسرة الذى ادعى الخلافة وتلقب بالخليفة وبويع ، واجه بن الحبحاب الثائرين من البربر مثل ميسرة وأتباعه من أمثال : عبيد الأعلى بين جريج الأفريقى ، ولكن قوات بن الحبحاب هزمت ، وقتل كثير من جنده فى غزوة الأشراف سنة ١٢٢ هـ - ٧٣٩ م (١) .

(و) ولى كلثوم بن عياض أفريقية سنة ١٢٣ هـ - ٧٤٠ م ودخل فى معارك ضد البربر .

(ز) وولى أفريقية من قبل هشام بن عبد الملك «حنظلة بن صفوان الكلبي» سنة ١٢٤ هـ - ٧٤١ م فأرسل أبا الخطار الكلبي والياً على الأندلس ، وقد واجه حنظلة بن صفوان كلا من : عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد ابن يزيد الهواري (زعيمى الصفوية) فى موقعة «القرن» و«الأحشام» وهزمهم وتعقبهم فى كل مكان حتى كسر شوكتهم .

(ح) بعد ذلك تأتى فترة حروب بين الولاة والثائرين عليهم من الخوارج وغيرهم فى أفريقية .

وواضح مما سبق أن الأندلس كانت تتبع أفريقية ، وأن واليها كان هو المسئول عن تعيين والى الأندلس ، وقد انتهى بن عبد الحكم فى تعيينه ولاية أفريقية والأندلس لى نحو سنة ١٣٠ هـ ٧٤٧ م ، وكانت حركات الثورات والتمرد والعصيان والانتفاضات هى الطابع السائد فى غربى الدولة الإسلامية أواخر العصر الأموى (٢) :

(١) لما انتفضت البربر على عبيد الله بن الحبحاب . وجه إلى طنجة خالد بن أبي حبيب الفهرى فى جمع من وجوه أهل أفريقية من قریش والأنصار لمحاربة هؤلاء البربر الثائرين ، فقتل خالد وأصحابه جميعاً ولم ينج منهم أحد ، ولذلك سميت تلك الغزوة غزوة الأشراف ، لكثرة من قتل فيها من الأشراف ، انظر : ابن عبد الحكم :

فتوح أفريقية والأندلس ص ٩٤ ، ٩٥ من نشرة عبد الله أنيس الطباع بيروت ١٩٦٤ م .
(٢) انظر : سعد زغلول عبد الحميد :

مقال بمنوان «فتوح أفريقية والأندلس فى رواية ابن عبد الحكم» ضمن كتاب «دراسات عن ابن عبد الحكم» الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ م .

مصادر ابن عبد الحكم :

فإذا ما حاولنا أن نتتبع موارد ابن عبد الحكم التي نقل عنها الأخبار السابقة نرى أنه نقل عن يحيى بن بكير ٢٨ رواية تتعلق بتوقيت الأحداث التي مرت بالمغرب والأندلس أساسها جميعاً كتاب الليث بن سعد ، ولا غرابة في ذلك ، لأن الليث من المصادر المشرقية المهمة التي رصدت أحداث المغرب والأندلس ، وفيما يتعلق بالأندلس وحدها نقل ابن عبد الحكم عن يحيى ابن بكير ١٩ رواية تتعلق ببدء الولاية أو تاريخ العزل منها ابتداء من عودة موسى بن نصير من الأندلس إلى المشرق سنة ٩٦ هـ - ٧١٤ م ، وانتهاء بمقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ - ٧٤٣ م . اللهم إلا رواية واحدة تصف «مائدة سليمان» التي وجدها «طارق» في قلعة مجاورة لطليطلة وما فيها من الجواهر النفيسة النادرة (١) .

ونقل ابن عبد الحكم عن عبد الملك بن مسلمة ست روايات عن الأندلس كلها يدور حل أو صاف المغانم العظيمة والسبي الكثير الذي غنمه المسلمون عند فتح الأندلس ، فطمع بعض الجنود في المغانم ، وغلول الكثيرين منهم لها (٢) .

كذلك نقل نفس المؤرخ عن والده عبد الله بن الحكم ، وعن هشام ابن إسحاق رواية واحدة يغلب عليها طابع القصص الخرافي ، وتفيد أن بالأندلس بيتاً عليه أقفال ، وكل ملك يأتي إلى الأندلس يضيف عليه قفل إلا لذريعة (لذريق) آخر الملوك الذي رفض أن يضع القفل حتى ينظر ما بداخل الباب ، فإذا الداخل صور وكتاب فيه أن الباب إذا فتح دخل العرب البلد وملكوها (٣) .

(١) أنظر : ابن عبد الحكم :

تاريخ مصر ، صفحات : ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ .

(٢) أنظر : ابن عبد الحكم .

فتوح مصر ص ٢٠٨ - ٢١٠ .

(٣) أنظر : ابن عبد الحكم .

فتوح مصر ص ٢٠٦ ، ص ١٤٤ من هذا البحث .

أخيراً نقل بن عبد الحكم عن سعيد بن عفير رواية واحدة تذكر بالتفصيل أحداث الغلول ومظاهر تفشى ذلك العيب بين الجند مع ذكر حيلهم المختلفة لإخفاء ما يغلوونه من الغنائم على النحو الذى ذكرناه فيما سبق (١) .

ومما يلاحظ أن كافة المصادر المذكورة هنا مشرقية ليست مغربية ولا أندلسية ، والكثير من هذه الروايات يرجع إلى ابن لهيعة والليث بن سعد وتلاميذهما ، ولا يستبعد أن هذين كانا ينقلان عن مصادر مغربية وأندلسية ، ذلك أن بعض المصادر تذكر أسماء بعض رواة الأندلس دون أن تسمى كتبهم ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، «ففى المصادر تظهر أسماء كل من «شبيب الأندلسى» وإبراهيم بن إبان ابن عبد الملك» (٢) كما أشرنا فيما سبق .

وقد ذكرت كثير من الأحداث ، خاصة أخبار وأحداث الفتوح بدون سند ، ومرد ذلك فيما يبدو إلى أنها قد أصبحت من الشهرة والانتشار حتى أنها لم تعد فى حاجة إلى النص على مصداقها ، لقد أصبحت أقاصيص فتح المغرب والأندلس يرويها القادمون من هذه البلاد فاقتربت من الحكايات الشعبية التى ترقى إلى درجة الأخبار ذات الأسانيد (٣) .

وجدير بالذكر أن كتاب ابن الحكم قد لقي رواجاً وانتشاراً عظيماً فى الأندلس ، فهناك بعض الأندلسيين كانوا تلاميذ للمؤلف مباشرة مثل أحمد بن عامر بن منصور المعروف بابن عامر اللبيري (ت ٣١٢ هـ =

(١) أنظر : ابن عبد الحكم .

فتوح مصر ص ٢٠٩ ، وانظر ص ١٥٠ من هذا البحث .

(٢) أنظر : فؤاد سركين : تاريخ التراث العربى ج ١ ص ٥٨٥ .

هذا وقد ورد اسم شبيب الأندلسى عند ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ١-١٩٩ ، القاهرة ، والحيدى : جنوة المقتبس ص ٢٣٩ ، من طبعة القاهرة ، أما إبراهيم بن إبان ابن عبد الملك فقد أورده الحيدى فى جنوة المقتبس ص ١٥٣ من طبعة القاهرة .

(٣) عبد الفتاح فتحى عل : الدراسات التاريخية فى مصر الإسلامية فى القرن الثالث الهجرى

ص ٥٠٨ من المجلد الثانى .

٩٢٤ م (ويبدو أنه هو الذى أدخل الكتاب إلى الأندلس ، ومثل الطليطلى عبد الله بن عبد الرحمن الصلفى المعروف بابن ظنين ، والذى درس الكتاب بمصر ، لينشره بعد ذلك فى بلده ، وقد اعتبره رجال التراجم من المصادر الثقة ، وحتى فى القرن التاسع الهجرى ، كان كتاب ابن عبد الحكم لا يزال يدرس فى الأندلس كما شهد بذلك بن خير الأشبيل (١) .

وبلاحظ أن ابن عبد الحكم لم يكتف بمجرد رواية الأحداث وإنما عرف كيف يغوص فى الأعماق ، ويبحث عن علل وأسباب انهزام العرب مرات عديدة أمام التأثيرين من البربر ومن يعاونهم من الروم ، وانتهى إلى أن مرد تلك الهزائم هو ضعف الزارع الدينى عند الجنود ، وانتشار الغلول والخيانة فى المغام بينهم ، وخضوع كبار القادة للنصرانيات وزواجهم منهم ، وانقسام المسلمين وسيطرة العصبية القبلية وشيوع التناحر بين القيسية واليمينية وسوء معاملتهم للبربر حتى ثار هولاء عليهم ، وساعد هذا الجو على تمكن المذاهب الخارجية كالإباصية والصفرية ، باختصار لقد أصبح بأس المسلمين بينهم شديداً ، الشيء الذى أغرى بهم أعدامهم ، فثاروا عليهم ثورة لم ينطقاً لها .

ليس هذا فحسب بل إن ابن عبد الحكم يذكر الروايات التاريخية ويحكم عليها ويقارن بينها ويرجح واحدة على الأخرى ، وتذكر لذلك المثال التالى :

«ويقال بل كن مع طارق (أى لفتح الأندلس) اثنا عشر ألفاً من البربر إلا ستة عشر رجلاً من العرب ، وليس ذلك بالصحيح» ذلك أن ابن عبد الحكم كن قد ذكر من قبل روايه جاء فيها «قال أن موسى ابن نصير وجه ابنه مروان

(١) أنظر : أ.د. محمود على مكى : البحث المشار إليه آنفاً ص ٢٠٩ .

وانظر كذلك :

- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس .. ص ٧٦ .

- ابن خير الأشبيل : فهرسة ... ص ٢٣٨ .

إلى طنجة مرابطاً على ساحلها ، فجهد هو وأصحابه فانصرف وخلف على جيشه طازق بن زياد وكانوا ألفاً وسبعمائة (١) .

أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي :

تمضي في سيرتنا مع المؤرخين المصريين الذين اهتموا بالأندلس لنجد من بينهم أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي (٢٨١ - ٣٣٦ هـ - ٨٤٩ - ٩٤٧ م) ، وقد عاش شطراً من حياته في القرن الثالث وأواخر القرن الرابع الهجري ، القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، ورغم أنه لم يغادر بلده قط ، إلا أنه كان يعتبر محدثاً كبيراً ومؤرخاً مشهوراً بمصر ، وقد كتب مؤلفين في تاريخ مصر أحدهما يدور حول تراجم علماء أو شخصيات ذلك البلد ، والآخر حول الأجانب الذين قدموا إلى مصر ، الأول بعنوان « كتاب مصر » وهو المصدر الأول لابن ماكولا ، واقتبس ابن حجر منه كثيراً ، والثاني كتاب الغرباء وعليه ذيل من تأليف أبي القاسم ويحيى بن علي بن محمد الطحان ، موجود بظاهرية دمشق ، مجموع ١١٦ (٢) ، إذا وضعنا في الاعتبار أن معظم من وفدوا إلى مصر جاءوا من الشمال الأفريقي ومن الأندلس ، أمكننا أن نقدر قيمة هذا العمل في التاريخ الأندلسي .

وقد استفاد ذلك المؤرخ في كتابه ، من كل الأعمال التي كتبها السابقون عليه ، وبعضها مفقود الآن ، مثل مؤلفات سعيد بن عفير ومعارك النصيري وابن عبد الحكم ، وقد كان الرجل موفقاً في كتاباته في كل ما يتعلق بالأندلس ، وكان يهيم إقامة علاقات مباشرة مع الأندلسيين الذين جاءوا إلى مصر ، وبعضهم جاء للإقامة بها ، ومن أشهر هؤلاء إبراهيم بن موسى ابن جميل ، محدث من مرسية ، متخصص في التعليم بمصر (ت ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م) وابن الأحمد القرشي (ت ٣٥٨ هـ = ٩٩٨ م) وابن المقرج

(١) أنظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

وانظر : عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح على : الدراسات التاريخية في مصر الإسلامية في القرن الثالث الهجري ص ٥١٦ ، وما بعدها من المجلد الثاني .

(٢) أنظر : سزكين : تاريخ التراث العربي ج ١ ص ٥٧٩ .

(ت ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م) (١) والأخير ان توفيا بعد أبي سعيد مما يدل على أن المؤلف ضمن كتابة آخر ما يتعلق بتاريخ الأندلس حتى وقت تأليف كتابه .. كذلك أتاحت للمؤلف فرصة بأن يكون على اتصال بكل ما حدث في الأندلس من خلال المؤلفات الأندلسية دون اعتماد على الروايات الشفهية وحدها ، نعرف مثلاً أنه يذكر من بين مصادره الحشني (ت ٣٦١ هـ = ٧٩١ م) وهو صاحب قضاة قرطبة وغيره من المؤلفات الفقهية ، وبعض مؤلفاته مثل قضاة قرطبة مطبوع ومعروف وبذلك لا تنقصه مادة التراجم المصرية الأندلسية .

وهكذا لم يغيب عن ابن يونس أى حدث مهم في التاريخ الأندلسي المعاصر له ، فاستحق شهادة القدماء له من أمثال ابن الفرضي والحميدي بأنه من أكثر العلماء دقة ومعرفة بأخبار وقضايا المغرب الإسلامي وبعلمائه المبرزين (٢) . وقد صادفت اللحظة التي دون فيها كتابه فترة ازدهار الثقافة العربية الأندلسية ، عندما بدأ الأندلسيون يشعرون باستقلالهم تماماً عن المشرق سواء على المستوى الثقافي أو السياسي ، ولم تعد الروايات الخيالية المصرية نجد إنتشاراً أو تقديرأ ، على العكس بدأنا نرى أخبار الحوليات الأندلسية تكتب بأيذ أندلسية (٣) . فعمل أبي سعيد بن يونس المعتمد على بيانات

(١) أنظر عن أول هؤلاء .

ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ٢١ .

الحميدي : جنوة المقيس ٨٨ .

وعن الثاني :

ابن الفرضي : نفسه ١٢٨٧ ، الحميدي : نفسه ١٤٠ .

وعن الثالث :

نفس ابن الفرضي ١٣٥٨ ، نفس الحميدي ١٠ .

وانظر : بونس بويجس ص ٩٣ .

(٢) أنظر :

الحميدي : جنوة المقيس ص ٣١٩ .

(٣) أنظر :

المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٣٦ طبعة ليدن ١٩٠٦ م .

ببليوجرافية ، أقل عرضة للأخطاء ، وأقل إهتماماً بالروايات الخيالية الموجودة في أوائل الأعمال المصرية ، وكان هذا المؤرخ لذلك موضع تقدير المسلمين الأندلسيين الذين منحوه أكثر ثقتهم ، يقول ابن الفرضي أن الخليفة العالم الحكم الثاني ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م أرسل إلى ابن يونس مكتوباً طالباً مؤلفه ، فأرسل له نسختين من كتابه ، استخدمهما ابن الفرضي في عمله الببليوجرافي وقد ذكر ابن يونس أكثر من ١٠٠ مرة في كتابه عن تاريخ علماء الأندلس مما يدل على درجة الثقة التي تمتع بها مؤرخنا المصري ، وهناك شخصيات أندلسية يجهلها ابن الفرضي نفسه ، وقد اعتمد في التعريف بها على ما قاله ابن يونس أما الحميدى فلم يكن أقل تقرّظاً لابن يونس ، لقد قال عنه أنه واحد من الباحثين المدققين الخبراء بمسائل المغرب الإسلامى وبشخصياته الشهيرة (١) .

إن ابن يونس يعتبر آخر من اهتم من المصريين بالتاريخ الأندلسي بصورة نشطة وإيجابية ، وابتداء منه ترك المصريون هذه المهمة بعد أن واصلوا إهتمامهم بهذا التاريخ مدة قرنين من الزمان ، ثم تخلى هؤلاء عن مواقعهم للمؤرخين والإخباريين الأندلسيين من أمثال الرازى وعريب ابن سعد والخشنى وابن القوطية وغيرهم ممن اشتهروا في ظل الخلافة الأموية بقرطبة .

وهناك عامل ساعد على نضج الثقافة الأسبانية في مواجهة المشرق ، ذلك هو العامل السياسى يعنى قيام الدولة الفاطمية بمصر في منتصف القرن العاشر الميلادى = الرابع الهجرى ، فالعداوة الصريحة والمؤكدة بين النظامين في الأندلس ومصر أضعف كثيراً من العلاقات الثقافية بين البلدين وإن لم يصل الأمر إلى مستوى القطيعة الكاملة (٢) .

(١) أنظر : ابن الفرضي :

تاريخ علماء الأندلس ص ٦ .

الحميدى : جذوة المقيس ص ٣١٩ ، من طبعة كوديرا .

(٢) أنظر : أ.د. محمود على مكى .

ص ٢٠١ - ٢٠٤ من بحثه المنشور بالاسبانية في مجلة المعهد المصرى لدراسات

والمنشور إليه مراراً .

أبو مروان عبد الملك بن حبيب :

ننتقل بعد ذلك إلى عالم موسوعى أندلسى ، وللمرة الأولى نصادف عالماً موسوعياً أندلسياً ، هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمى المرادسى الألبيرى القرطبى ، فهو من أصل عربى من بنى سليم بن منقر ، تلقى علومه فى ألبيرة Elvira وقرطبة Cordoba أولا ، على أيدي الأساتذة المشهورين مثل صعصعة بن سلام وزياىد بن عبد الرحمن ، والغازى بن قيس ، ثم رحل إلى المشرق للحج والدراسة والتلقى عن العلماء حيث درس بمصر على الفقيه : إصينغ بن الفرج رئيس المالكية بمصر ، وعلى المحدث أسد بن موسى ، وتعلم فى المدينة المنورة على تلميذين من أتباع مالك بن أنس هما عبد الملك ابن الماجشون ومطرف بن عبد الله الهلالى بن أخت الإمام المشهور مالك ، ولعل هذا هو السبب فى أن بعض الباحثين المعاصرين يعتبره من المصريين ، ويدرجه مع مروياته ومصادره ومؤلفه فى التاريخ فى عداد الكتب المصرية (١) .

ومهما يكن من أمر فقد رجع الرجل إلى الأندلس ٢١٦ هـ - ٨٣١ م بعد ثمانى سنوات من الرحلة إلى بلاد المشرق ، وأخذ يعلم فى مسجد قرطبة الشهر ويسهم فى نشر مذهب الإمام مالك بن أنس ، ونال ثقة عبد الرحمن الثانى ٢٠٦ = ٢٣٨ - ٨٢٢ - ٨٥٧ م ، وطبقت شهرته الآفاق حتى قال عنه ابن خلكان أنه صار أعلم من بالأندلس وأفقه (٢) ، ويقول عنه بن الفرضى : «وكان عبد الملك بن حبيب - رحمه الله - نحوياً عروضياً شاعراً ، حافظاً للأخبار والأنساب والأشعار طويل اللسان متصرفاً فى فنون المعرفة» (٣) .

ويذكر الضبى له شعراً يبدوه بقوله :

(١) أنظر : أ.د. أحمد مختار العبادى .

فى تاريخ المغرب والأندلس ص ٣٣٧ الاسكندرية ، بدون تاريخ .

(٢) أنظر ابن خلكان :

وفيات الأعيان ، ترجمة عبد الملك بن حبيب .

(٣) أنظر : تاريخ علماء الأندلس ترجمة رقم ٨١٦ .

صلاح أمرى والذى أبتغى مهل على الرحمن في قدرته

والذى يعنينا فيما نحن بصددده هو كتب هذا العالم الموسوعى وقد احتفظت
معاجم الفهارس بأسماء بعض كتبه منها مثلاً : «نسب و تاريخ القرشيين» في
١٥ مجلدأ ، و«عادات وسيرة محمد - صلى الله عليه وسلم» - في ٢٢ مجلد ،
وكتاب «أنساب العرب» في ٢٥ مجلدأ ، و«طبقات الفقهاء» وكتاب
«الواضحة في الفقه المالكي» ، وكتاب «فضل الصحابة» وكتاب «غريب
الحديث» وكتاب «تفسير الموطأ» وكتاب «حروب الإسلام» وكتاب «سيرة
الإمام» ، وكتب أخرى في الحديث النبوى والأخلاق والفلك وعلم الأمراض
والفنون الحربية وأخيراً كتابه في التاريخ .

ولم يبق لدينا من مصنفات هذا العالم إلا كتاب «التلخيص في علم
الفرائض» المحفوظ في مكتبة برلين تحت رقم ٤٦٨٧ في ٣٠٨ ورقة ، وكتاب
عن الورع في مكتبة مدريد تحت رقم ٦/٢٥٧٧ في ٢٢٠ ورقة ، وكتاب
«الواضحة في السنة والفقه» بمكتبة القرويين بفاس رقم ٨٠٩ قسم واحد عليه
سماع من سنة ٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م و«الغاية والنهاية» وهو كتاب في الفقه
بمكتبة الرباط ٧١/١ ، رقم ١١٢٦ في ٢٢ ورقة منسوخ سنة ١١٩٢ هـ =
١٧٧٨ م ، ومختصر في الطب : الرباط ٣٣٢/٢ رقم ١٤٤٢ (٤٥ ورقة)
والمسند ، وهذا الكتاب في الواقع رواية «لكتاب الآثار» للربيع بن حبيب
من القرن الثانى الهجرى ، دار الكتب في القاهرة ، فهرست المخطوطات
٢٣٣٧/٢ رقم ٢١٥٨٢ ب جزء واحد من ٧٣ - ٨٠ ورقة ويرجع للقرن
الثامن الهجرى .

وأخيراً كتابه في التاريخ ومنه نسختان في بودليانا بأكسفورد ١٢٩١ م
١٢٧/٢ ، ٢٥٨ ، ومرسن بودليانا ٢٨٨ من ورقة ١١ إلى ورقة ١٠٠ لسنة
٦٩٥ هـ (١) ولدينا وصف للنسخة الأولى في كتالوج نيولا يقول :

(١) أنظر في ذلك : فؤاد سزكين .

تاريخ التراث العربى ج ١ ص ٥٨٧ .

إن هذا المخطوط يضم ٢٦١ صفحة مقسمة إلى أقسام ثلاثة ، ويضم القسم التاريخي ٢٠١ صفحة ، وقد فرغ منها ناسخها ٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م وهو مكتوب بحروف مغربية جميلة مع تشكيل بعض النصوص ، وهو وإن كان سهل القراءة إلا أن التلف نال أجزاء كثيرة منه .

أما موضوع الكتاب فهو التاريخ العام حيث يبدأ بالحديث عن بدء الخلق وخلق السموات والأرض وابتداء مقادير الخير والشر كما حددها الله قبل خلق السموات بخمسين ألف سنة ، وخلق آدم وحواء وتاريخهما وقصة إبليس ، والمزايا التي منحها الله لكل من آدم وإبليس وطردهما من الجنة وخلق العالم منذ البداية إلى النهاية ثم تاريخ الأنبياء وعددهم وكتبهم وما يتعلق بلغاتهم ، ثم يذكر تاريخ محمد - صلى الله عليه وسلم - وهجرته .. ويواصل الحديث عن الخلفاء إلى أن يصل للوليد بن عبد الملك الذي فتحت الأندلس في أيامه .

وهنا يبدأ حديثاً عن أسبانيا منذ دخلها طارق سنة ٩٢ هـ = ٧١١ م إلى سنة ٢٧٥ هـ = ٢٨٨ م ، وهي السنة التي بدأ فيها حكم الأمير عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأوسط .

ولا يخلو الكتاب - سوى ما مر - من ذكر موضوعات متباعدة ففيه كلمات رائعة للسيدة فاطمة ووصف لمائدة سليمان ، وذكر طبقات الفقهاء الذين عاشوا في مكة والمدينة والعراق وسوريا ومصر زمن صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - وفضائل الموالى وعرض لكتاب الموطأ وأعظم أخلاق العلماء وأعاجيبهم وحكم الحكماء والوسيلة المناسبة للوصول إلى الغنى والمسائل المتصلة بخصائص الرجال العاديين والرجال فارهو الطول ، ثم يذكر بعض الأشعار ، وينهى الكتاب بذلك من تولى قضاء قرطبة .

كل ذلك فيما يبدو بهدف البرهنة على أن المسلمين الأندلسيين يعرفون التاريخ المشرق بصورة لا تقل عن معرفة المشاركة ، وتلك صورة تكررت بعد ذلك بنحو قرن تقريباً في عمل ابن عبد ربه «العقد الفريد» .

وقد عرض « بونس بويجس » Pons Poigues المادة العلمية لهذا الكتاب ، ومن هذا العرض يتضح أن قيمة هذا الكتاب ليست في محتواه ، لكن في أنه أول مؤلف أندلسي يكتبه واحد من الأساتذة الأندلسيين ، وهو بداية لوضوح معالم رجال الفكر والثقافة الأندلسيين الذين يتولون بأنفسهم عقد المجالس العلمية والأدبية في مسجد قرطبة وغيره ، وينشرون العلم — بعد أن استوى عودهم — بين أهلها ، ويفد إليهم الطلاب من هنا وهناك للتعلم عليهم والتخرج على أيديهم بعد أن تكونت ثقافة هؤلاء الأساتذة في المدارس والمراكز الشرقية .

وقد أتيج للقسم الخاص بالأندلس من هذا الكتاب أن يرى النور حيث قام بنشره الأستاذ الدكتور محمود علي مكى تحت عنوان « باب استفتاح الأندلس » مع مقدمة ودراسة اضافية عن الكتاب والمؤلف نشرت باللغة الأسبانية (١) .

وكان المستشرق الهولندي « رينهارت دوزي » أول من لفت أنظار العلماء المحدثين إلى عمل ابن حبيب ، وإن اتهمه هو وزملاؤه من الأندلسيين الآخرين بمن وفدوا إلى مصر ، بأنهم تنقصهم الشخصية وأنهم توجهوا إلى مصر ليجمعوا من أفواه الفقهاء ما أخبروهم به من التقاليد العجيبة .

وعلى كل حال فقد اطلع « دوزي » على نسخة مخطوطة التاريخ هذه ودرسها وفحص مادتها العلمية ، وانتهى في دراسته إلى أن هذا الكتاب لا قيمة له . وتبعه في ذلك بالنشأ (٢) Gonzalez Palencia وسانشث

البورنوس (٣) Sanchez Albornoz

(١) أنظر : صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد المجلد الخامس ١٩٥٧ م حيث يوجد نص الكتاب ص ٢٢١ - ٢٤٣ . أما الدراسة الأسبانية فتشغل من ص ١٥٧ الى ٢٤٣ .
(٢) Historia de la literatira arbiga Espanola, p. 143.
(٣) Notas para estudio de dos historiadores Hispano Arabes en los siglos XIII y IX. Boletin de la universidad de santiago. Santiago. 1934, p. 17 - 19.

وقال «دوزى» إن هذا الكتاب ليس من تأليف ابن حبيب وحده وإنما النسخة الموجودة التي بين أيدينا من إعداد تلميذ لابن حبيب يسمى ابن أبي الرقاع الذي قدم إضافات إلى نسخة أستاذه الأصلية (١) وللبرهنة على ذلك يكفى إلقاء نظرة على الفصل المخصص لأمراء الأندلس لتعرف أنهم وصل بنا إلى سنة ٢٧٥ هـ = ٨٨٨ م ، أول فترة حكم الأمير عبد الله الذى حكم بين سنتي ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ = ٨٨٨ - ٩١٢ م . ومعلوم أن ابن حبيب مات قبل ذلك بنحو خمسة وثلاثين عاماً أى ٢٣٨ هـ - ٨٥٣ م ، ولهذا فإنه يغلب على الظن أن الكتاب كتب في زمن لاحق على سنة ٢٧٥ هـ ، وربما تمت كتابته سنة ٢٨١ هـ = ٨٩١ م ، عندما هدد الناصر ابن حفصون الأمير عبد الله ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ = ٨٨٨ - ٩١٢ م بسلب العاصمة القرطبة في وضح النهار (٢) .

ذلك أن بالكتاب نبوءات ونغمة متفائلة تتناول الفوضى والثورات التي تهدد الإمارة الأموية في الأندلس ، فهي إشارات واضحة إلى انهيار السلطة المركزية في قرطبة عندما هدد الناصر ابن حفصون الأمير عبد الله بنهب وسلب العاصمة القرطبية في وضح النهار ، وإن كان هناك من الباحثين من يرى أن النبوءة لا تشير إلى ذلك الذى حدث زمن الأمير عبد الله ، وإنما تشير إلى التدهور الحقيقى للعاصمة الأندلسية أثناء الفتنة البربرية العظمى بعد سقوط الخلافة أوائل القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى (٣) .

أكثر من ذلك هناك نبوءة أخرى تتعلق بطليطلة تقول :

طليطلة المحطمة ، بنيت على الشقاق والحروب ، وعندما عقد سكانها سلاماً مع المشركين ، لم يبق بها لا ملوكاً ، ولا شعوباً ، بأيدي سكانها ينبع الشر ، ويذهب الناس المسلمون من هذه الأرض .

(١) أنظر : Dozy : Recherches 32 (2-edician) 28-3- edicion)

(٢) أنظر : العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ص ١٦٩ - ١٧١ .

(٣) أنظر : أ.د. محمود على مكى : مقالة عن مصر والمصادر الأولية للتاريخ الأندلسى المنشور بالاسبانية في مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمديرد ، العدد الخامس ، ١٩٥٧ م ص ١٩٣ .

هذا لون من التعبير الموزون لم يكن شائعاً في القرن الثالث الهجري ، وفيه إشارة إلى سقوط طليطلة سنة ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م فهذه النبوءات أضيفت إلى النص من خلال شخصيات محددة وفي عصور مختلفة ، وبقي أن أصل الكتاب من عمل بن حبيب .

أما بن أبي الرقاع فبرد ذكر اسمه سراحة عند الحديث عن كنيسة اختفت ، جاء في الكتاب بهذا الصدد :

يقول بن أبي الرقاع أن أحد العلماء ذكر له مكان الكنيسة التي اختفت ، وأنها كانت وسط منزل عقبة بن خليل ، وقد سمعت ذلك من عبد الملك ابن حبيب ، وتحدث النسخة عن الظروف البانسة التي مرت بها قرطبة بسبب الفتن والثورات ضد الحكم الشرعى بها خاصة فنة بن حفصون . . . « إن المصائب تتوالى باستمرار وبدون توقف نسرق ونسلب ، ونساوئنا وأولادنا يعرضن للسي ، لقد وصل الوغد ابن حفصون إلى بابك ، على رأس قوات مقدمتها من المسلمين ، وموخرتها من المشركين ، (يقصد المسيحيين) ، وسيأتى القدر المحوم ، وعلى سكانك أن يبحثوا عن مأوى لهم في قرمونة . . . »

لقد أخذ بن أبي الرقاع مكان أستاذه في مجلسه العلمى ، وأثناء درسه أضاف أشياء اسجدت على كتاب بن حبيب كانت بمثابة هوامش عليه ، ولأن ما أضافه لم يكن له كبير أهمية ، فإن بإمكاننا ، أن نعتبر ابن حبيب هو مؤلف هذا التاريخ .

على أنه ليس ابن أبي الرقاع وحده هو الذى يذكر في الكتاب بل أن اسمه لم يرد إلا مرة واحدة ، بينما هناك شخصية أخرى لعبت دوراً أكثر أهمية في تنظيم مادة الكتاب ، حيث ذكرت فيه أكثر من مرة ، نغنى تلميذ ابن حبيب ، يوسف بن يحيى الماجامى ، - من ماجام وهى اليوم ماجان MAGAN في محافظة طليطلة - وتذكره كتب التراجم باعتباره التلميذ الأكثر نشاطاً ونشراً لأعمال بن حبيب ليس فى الأندلس فحسب بل فى مصر وشمالي

إفريقية ، فوق أنه كان زوج ابنته ، فهو إذن مشترك مع آخرين من تلاميذ ابن حبيب في التحرير النهائي لعمل ذلك المؤرخ ، وفي الفصل الأخير من الكتاب توجد أسئلة موجهة من « الماجامى » إلى أستاذه مع الإجابات الموضحة لها مما يدعم هذا الرأي (١) .

لهذا كله يرفض فؤاد سزكين ما انتهى إليه «دوزى» من أن لكتاب لا قيمة له ، مبيناً أن الذى جعل المستشرق الهولندى يضل إلى ما وصل إليه هو عدم معرفته بطرق الرواية في الكتب الإسلامية المبكرة ، فالكتاب له قيمة خاصة لأنه ضم كثيراً من المقتبسات من مصادره (٢) .

مصادر تاريخ الأندلس في كتاب ابن حبيب :

وهنا لابد من وقفة لمعالجة مصادر القسم الخاص بالأندلس في كتاب ابن حبيب ، فمصادره الأساسية هي الليث ابن سعد وعبد الله بن وهب ، حيث ذكر ابن حبيب أن بعض المرويات قد وصله عن طريق ابن وهب ، وبعضها الآخر لم يذكر سندها ولم يحدد كيف وصلت إليه ، ومعروف أن ابن وهب هذا واحد من مؤسسى المالكية في مصر ، وقد صحب «مالك» نحو ثلاثين سنة ، وعرف بأنه محدث كبير ، وكانت له علاقات ممتازة مع الدارسين المسلمين الأسبان ، وبرغم أن الكثيرين منهم قد تتلمذوا عليه ، إلا أنه تلقى شيئاً من العلم عن بعض علماء هذا البلد مثل شعيب بن أبى هند الطليطلى تلميذ مالك ، وسهير بن غنيم من وادى فحصى البلوط بقرطبة وهو مؤدب أبناء الأمير هشام ، ومن المحتمل أن يكون هؤلاء قد قدموا لابن وهب بعض المعلومات المتعلقة بتاريخ أسبانيا من ذلك تلك الأخبار المتعلقة بحملة طارق بن زياد (٣) .

(١) أنظر : بحث أ.د. محمود على مكى بالاسبانية المشار إليه فيما سبق ص ١٩٣ أنظر ص ٢٦ ، ١٨٦ ، وما بعدها من تاريخ ابن حبيب .

(٢) أنظر : تاريخ التراث العربى ج ١ ص ٥٨٧ .

(٣) أنظر : أ.د. محمود على مكى .

Egipto y la historiografía Aorabigo - Espanola, p. 199.

وابن الغرضى : تاريخ علماء الأندلس ، رقم ٤٦٧ ، ٥٩٣ .

وابن حبيب هو الذى ينسب إلى ابن وهب بعض الروايات المتعلقة بفتح الأندلس ، ويبدأ روايته لها بهذه العبارة « حدثنا ابن وهب قال : مما يعنى أن ابن حبيب كان تلميذاً مباشراً لهذا المحدث وتلك نظرية يقيها كل من «دوزى» وبونس بويجس (١) لكن إذا درسنا التواريخ سوف نصل إلى نتيجة هى استحالة هذه التلمذة ، ذلك أن ابن حبيب بدأ رحلته إلى المشرق سنة ٢٠٨ هـ - ٨٢٣ م يعنى بعد موت ابن وهب بنحو عشر سنوات ، وإزاء ذلك الوضع لا يوجد إلا أحد احتمالين ، إما نسيان مؤلف الكتاب أو ناسخه لشخصية ينبغى أن تكون مفقودة من سلسلة الأستاذين ابن حبيب وابن وهب ، وتلك الشخصية هى إما عبد الله بن عبد الحكم أو ابن المنذر من المدينة ، وكلاهما أستاذ للأول وتلميذ للثاني ، الاحتمال الثاني أن ابن حبيب وقع في هذا الخطأ الكبير لأنه لم يكن على علم كبير بعلوم وقيمة مصطلح الحديث .

أيضاً يعتبر ابن لمبة من مصادر أخبار الأندلس ، وقد عرف ذلك المحدث - بالإضافة إلى موسى بن علي رباح - عالماً مصرياً آخر كانت له علاقات قوية مع أسبانيا ، أنه أحمد بن حاتم المعافى الذى قرر البقاء في أسبانيا حتى مات بها ، ومع ذلك فإن ما وصل إلينا من أخبار الأندلس عن ابن لمبة لا يزيد على خبرين ، وكلاهما جاءنا عن طريق أبى الأسود المنذر بن عبد الجبار (٢) ، وفي الخبر الأول ينقل إلينا هذا المحدث ما أخبره به

Dozy : Rechecches., p. 33.

(١) أنظر

Pons Poigues : Ensayo-Bio Bibliografico sobre los historiadores y geografos Arabigo Espanoles p. 36 Madrid 1898.

(٢) يذكر المنذر بن عبد الجبار كثيراً على أنه أستاذ لابن لمبة في كتاب ابن عبد الحكم ، وفي النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢٢١-٢ ويقول أنه مات سنة ٢١٩ هـ = ٨٣٤ م ، فكيف يكون أستاذاً لابن لمبة الذى توفى سنة ١٧٤ هـ = ٧٩٠ م ، أما الخزرجمي ص ٣٤٤ ، فيقول إنه كان تلميذاً لابن لمبة ، أنظر : الخزرجمي : سيف الدين أحمد بن عبد الله ، خلاصة تهذيب الكمال ص ٣٤٤ ، القاهرة ١٩٠٤ م .

عامر بن أوس - من جنود موسى بن نصير - حول الغلول الذي ارتكب في غنائم الفتح ، وهذا يبرهن لنا على أن ابن لهيعة يعرف بعض من اشتركوا مباشرة في فتح الأندلس ، أما الثاني فإنه يتناول الحديث المنسوب لفاتح مصر عمرو بن العاص أو لصحابي آخر ، وهو يتضمن البسكاه على قدر مصر عندما وجهت إليها السهام الأربعة ، العباسيون والأثراك والروم والأندلسيون (١) .

أما الليث بن سعد فقد كان مشهوراً محدثاً ومؤرخاً فوق شهرته فقهاً ، ومعروف أن الكتابة التاريخية غلب عليها أسلوب القصص الخرافي عند المحدثين المصريين كما أسلفنا ، وكان الليث معتاداً حضور مجالس ثوبة النمرى الذي كان قاصياً وقاضياً في الآن نفسه (ت ١٢٠ هـ = ٧٣٢ م) كما أشرنا من قبل . أما علاقته بالأندلس ، فكان أول اتصال له بها مع مروان بن صالح قاضي قرطبة الأكبر في زمن عبد الرحمن الأول عندما جاء إلى مصر في طريقه إلى مكة للحج ، ويقول ابن الفرضي أنه عندما وصل مروان إلى مصر أرسل الليث كاتبه عبد الله بن صالح لنسخ مرويات القاضي الأندلسي الشهير . بعد ذلك توافد على دروس الليث تلاميذ أسبان ذوي مكانة ، مثل زيد بن عبد الرحمن المعروف بشيطون (ت ٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) وهو من أوائل من أدخلوا المذهب المالكي للأندلس ، وهناك تلميذ لليث أكثر أهمية هو يحيى بن يحيى الذي كان له القرار النهائي في تحويل أسبانيا إلى المذهب المالكي .

وهناك عامل مهم يعكس تأثير الليث هو احتفاؤه بكل ما هو أموي ، فهو لم يخف ولاءه للأمويين بكل ثقة واعتداد ، فرغم أن مصر كانت عباسية إلا أنه اعترف بأنه يأوى بعض الأمويين المضطهدين ، الشيء الذي

(١) أنظر : المقرئ : تقي الدين أحمد بن علي : الخطط . . ١٣٦-٢ ، القاهرة

١٩٠٦ - ١٩٠٨ م .

أ.د. محمود علي مكي :

مصر والمصادر الأولية للتاريخ الأندلسي بالاسبانية ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

استشهد به بعد ذلك أبو بكر بن العربي الأشيلي في الدفاع عن رأيه بمساندة يزيد بن معاوية فقال أن الليث اعترف به أميراً للمؤمنين ؛ لهذا أليس عجيباً أن ينال الليث شهرة في أسبانيا تفوق شهرته في بلده كما يقول بحق « لو بث أروثيث » Lopez Or- (١) ومن كان ينال منه كان يعرض نفسه للعقوبة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

وإذا كان الليث قد وصل تأثيره في أصول الفقه إلى هذه الدرجة فلأن في الإمكان أن نبصر الثقة التي منحها أسبانيا لمروياته التاريخية ، حيث لم تكن الأندلس بعيدة عنه ، فن الطبيعي أن يتلمذ الأندلسيون عليه ليس فقط في الناحية الفقهية بل والتاريخية أيضاً (٢) .

أما تلاميذ الليث بن سعد فهم كما أسلفنا :

عبد الله بن مسلمة ولم يقدم جديداً بالنسبة لمرويات الليث ، وبجي ابن بكير وعثمان بن صالح ، وسعيد بن عفير (٣) .

وعلى كل حال فإن معظم مرويات ابن حبيب عن أسبانيا ، وهي ما يعالج أحداث الفتح والغنائم التي تم الاستيلاء عليها وحياة موسى بن نصير كلها روايات مصرية ، ينتهي بعضها إلى الليث بن سعد وابن وهب وبعض الأساتذة المصريين الذين لم يذكرهم .

أما القسم الثاني الذي يعالج الأمراء التابعين للخلافة الأموية في المشرق ، فإنه يعتمد فيه على «الواقدي» وورخ المدينة من خلال تلميذه إبراهيم بن المنذر الجذامي ، (ت ٢٣٦ هـ = ٨٦٠ م) ، وكان محدثاً أيضاً بالمدينة وتلميذاً للإمام مالك بن أنس وابن وهب ، وقيمه رواية عند المحدثين ووضع جدل .

J. Lopez Ortiz = recepcion

(١)

المرجع السابق ذكره ص ١٤٤ من هذا البحث .

(٢) من مرويات الليث التاريخية ، أنظر ص ١٤٣ وما بعدها من هذا البحث .

(٣) من هؤلاء أنظر ص ١٤٧ وما بعدها من هذا بحث .

أما المادة العلمية لهذا القسم ، فإنها تقتصر على أسماء وولادة وأمرأة أسبانيا وتواريخ ولاياتهم دون زيادة على ذلك ، وهناك احتمال أن تكون الرواية الأصلية لابن حبيب قد انتهت بموت الحكم الأول ٢٠٦ هـ - ٨٢١ م أو بموت عبد الرحمن الثاني ٢٣٨ هـ = ٨٥٢ م إذا افترضنا أن ابن حبيب فرغ من كتابه في الستة أشهر الأخيرة من حياته . أما باقي الكتاب فلا يستبعد أن يكون من إضافات تلاميذ ابن حبيب ، أو غيرهم من المتأخرين الذين يمكن أن يكونوا قد أضافوا النبوءات والتكهنات الموجودة بعد ذلك في الكتاب (١) .

هل نسخة «أكسفورد» تمثل الكتاب الكامل لابن حبيب ؟

وهنا يثار سؤال ، هل نسخة كتاب ابن حبيب الموجودة في «أكسفورد» الآن ، تمثل الكتاب الكامل الذي كتبه ابن حبيب ؟

الواقع أنه لا أحد يستطيع أن يدعى ذلك ، على العكس هناك نصوص نسبتها المصادر لابن حبيب وأثبتها له ، ومع ذلك فإنه لا وجود لها بتلك المخطوطة ، من ذلك ما ذكره ابن القوطية :

فقد تحدث بالتفصيل عن السفارة التي قامت بها سارة بنت الملك القوطي غيطشة Wittza لبلاط الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بدمشق ، وزوجها من عيسى بن مزاحم - الجدد الأعلى - وجد الجدد لابن القوطية ، ثم قال إنه وجد هذا الخبر في الكتاب الذي ألفه عبد الملك ابن حبيب عن فتح الأندلس ، ومع ذلك فلا وجود لهذا النص في ذلك الكتاب (٢) .

(١) أنظر : أ.د. محمود حل مكي :

Egipto y la historiografía Arabigo - Espanola. p. 198 - 200.

من النص الأسباني .

ص ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٣٦ من باب استفتاح الأندلس .

(٢) أنظر : ابن القوطية :

تاريخ ابن القوطية ص ٤ ، ٦ ، من الترجمة العربية وص ١٩٤ من بحث د. محمود حل مكي المشار إليه سابقاً .

مثال آخر ، يذكر ابن الفرضي القرطبي بن حبيب في ترجمته لبعض
ولاة أسبانيا ، وهو السمع بن مالك الخولاني ، ولثلاثة من القضاة الأندلسيين
وهم صمصمة بن سلام وعامر بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن أبي موسى ،
بالنسبة للأول وجد النص كما هو تقريباً عند ابن حبيب ، لكن بالنسبة للثلاثة
الأخيرة فإنه لا توجد إلا أسماؤهم في مخطوطة «أكسفورد» دون ذكر
للتفاصيل التي قال ابن الفرضي أنه نقلها عن ابن حبيب (١) .

يمكن أن نقول إذن أن النسخة الموجودة الآن ، ربما كانت أجزاء من
عمل ابن حبيب ، قام بنسخها بعض تلامذته ، وليست العمل كاملاً الذي
تركه ذلك المؤلف المؤرخ ، ولابد أن العمل الأصلي تضمن تفصيلات
مفيدة ومهمة ، لكنه فقد للأسف ، وهذا لا يقلل من قيمة ابن حبيب
باعتباره أول أندلسي مسلم يكتب التاريخ الأندلسي .

بدء كتابة التاريخ الأندلسي :

لكن متى بدأت كتابة التاريخ العربي الأندلسي ؟ سؤال طرحه كل من
خوسيه مورينو نيتو ، وبونس بونجس .

يعني كيف نملاً الفراغ بين فتح الأندلس ، وأول حولية لدينا مكتوبة
بقلم ابن حبيب ؟

إذا ودعنا في الاعتبار أن معلوماتنا عن الفتح مصدرها كل من عبد الله
ابن لهيعة والليث بن سعد ، بدون تحديد من أخذوا عنهم ، فإنه من المنطقي
أن نفكر أن هؤلاء التابعين هم الحلقة المفقودة في تلك السلسلة (٢) .

وبرغم أن هؤلاء التابعين خير من يذكر لنا أخبار الفتح ، فإن معظم
مروياتهم مفقودة لا نستثنى من ذلك ، أي من أخبار التابعين ، إلا على بن رباح

(١) أنظر : ابن الفرضي : تاريخ ج ١ صفحات ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ٢١٦ ،
على التوالي .

وبحث أ.د. محمود على مكى صفحات ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ حيث توجد أشلة أخرى .

(٢) أنظر : Ensayo Biblio p. 363.

الذى تكلم ابته موسى بدقة عن بعض الأحداث المتعلقة بالفتح بإذن من والده واهتمامنا به يتضاعف إذا عرفنا عنايته بحقل التاريخ فبجانب ذكر اسمه مصدراً للمعلومات في الحوليات المصرية ، فإنه لم يكن أقل أهمية في تناول تاريخ الفتح الإسلامى للأندلس . ويذكر بن عذارى فقرة مهمة نقلا عن الواقدي حول دخول موسى بن نصير إلى أسبانيا بعد اشتغال جمرة حسده على نائبه طارق بن زياد الذى سيكون له وحده فضل فتح الأندلس ، بعد ذلك يتكلم بالتفصيل عن خطة موسى ، والطريق الذى اتبعه طارق وفتح مدينة ابن السليم (شذونه) Sidonia وميراد Merida .. الخ (١) كما أسلفنا .

أما وقد اتضحت أهمية التابعين الذين فتحوا الأندلس ودورهم بالنسبة للتاريخ الأندلسي ، فلنركز على تلاميذهم من المصريين الذين كانت لهم أهمية في هذا الصدد .

إن أكثرهم أهمية هو موسى بن علي بن رباح اللخمي بن التابعي المشهور ، ووفقاً للمؤرخ ابن يونس ، فإن موسى ولد بالقيروان سنة ٨٩٠ هـ = ٧٠٨ م ودرس على والده وعلى مشاهير التابعين ، بينهم من دخل الأندلس مثل حبيب بن أبي جبلة . وعندما رجع بعد سنوات إلى مصر تولى مناصب هامة ، فعين أول صاحب للصلاة ، ثم عين والياً على مصر سنة ١٥٥ هـ = ٧٧١ م في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، وبقي إلى أن عزله الخليفة المهدي ١٦١ هـ = ٧٧٧ م ، ومات بعد ذلك بستين في الاسكندرية .

وكان معتبراً أهلاً للثقة محدثاً ومؤرخاً ، وكان يحضر مجلس علمه تلاميذ من كل الأنحاء ، بين هؤلاء عبد الله بن لهيعة ، والليث بن سعد ، ومن الأفاقة البهلول بن راشد (مات ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م) وهو أستاذ سحنون القيرواني ، وبين تلاميذه الأندلسيين زياد بن عبد الرحمن المعروف بشيطون وهو من أوائل من أدخلوا الفقه المالكي للأندلس ، وكان أستاذاً للمؤرخ المشرق العظيم : الواقدي .

(١) أنظر : ابن عذارى : البيان المقرب ٢-١٣ .

أ.د. مكي ص ١٧١ ، ١٧٢ وما بالصفحتين من مصادر .

هذه الحقيقة تساعد على تبديد شيء من الغلط عند بعض المحدثين المعاصرين ، ذلك أن تراخى المسلمين الأسبان الأول على مصر بحثاً عن أخبار يمكن لهم كتابتها عن تاريخ بلدهم نفسه ، ذلك البلد المفتوح حديثاً ، أمر لا يمكن استغرابه بحال ، كما حدث مع المستشرق «دوتزى» الذى أدان بقوة موقف هؤلاء الأندلسيين (١) ، وذلك أنه لم يكن أمام هؤلاء إلا أن يبحثوا عن ذلك فى مصر ، فهى إذ ذاك مستودع كل الأسرار المتعلقة بالفتح الإسلامى الأندلس ، والمصدر الذى لا يبارى بالنسبة للتاريخ العربى الأندلسى الأول (٢) .

ولابد أن نضع فى اعتبارنا أن كثيراً من العلماء الأندلسيين — بخلاف التابعين — تركوا بلدهم منذ وقت مبكر للإقامة فى مصر ، مما دعم هذا التقليد الأندلسى — المصرى .

ويمكن أن نذكر من بين هؤلاء طليب بن كامل تلميذ مالك بن أنس ، الذى أقام فى الاسكندرية حيث مات بها سنة ١٧٣ هـ = ٧٨٩ م (٣) ونال شهرة فى مصر ، وكان ذائع الصيت ، ومن بين أساتذته ابن القاسم وعبد الله ابن وهب الذى خلف بعد ذلك آثار عظيمة فى علم أصول الفقه أو فى التاريخ العربى الأندلسى .

وهنا نؤكد ما ذكرناه من قبل من أنه منذ هذا الوقت وأخبار فتح الأندلس تشكل مادة مهمة ومفضلة تروى باستمرار فى المجالس الأدبية

(١) انظر ... p. 32, 33 Recherches

(٢) أنظر : أ.د. محمود على مكى ، البحث السابق ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٣) أنظر ترجمته عند :

ابن الفرضى : تاريخ .. رقم ٦٢٢ .

الحيدى : رقم ٥٢١ .

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن .

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، مجلدان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٣ م ،

ج ١ ص ١٩٥ .

ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٣٠ .

وانظر أ.د. مكى : البحث والموضع السابق .

والدبئية بمساجد مصر ، يرونها الإخباريون والمحدثون والفقهاء المصريون ، ويحضرها الأندلسيون المسلمون . وإذا وضعنا في الاعتبار وضع الثقافة في هذا العصر حيث لم يكن هناك تخصص ، وحيث كان التاريخ جزءاً من التعليم الديني ، يتناوله فقط المحدثون والفقهاء ، وإذا وضعنا في الاعتبار التوفير الذي كان يشعر به الأندلسيون المسلمون تجاه أساتذة الفقه المصريين ، الذين أخذوا عنهم القواعد التي قام عليها الفتح الإسلامي الأندلسي طوال فترة وجود الإسلام في أسبانيا ، أمكننا أن نفسر هذه الثقة المطلقة التي منحها الأندلسيون للإخباريين المصريين لرواية تاريخ بلدهم بنفسه (١) .

خلط التاريخ الحقيقي بالأساطير والعجائب :

قضية أخرى جديرة بلغت الأنظار إليها ، يعالجها كل من درس أعمال ابن حبيب هي ذلك الخلط بين التاريخ الحقيقي وبين الخيال والأساطير والقصص مع نسبة الأشياء لأمر خارقة بحكم أنها روايات سماعية .

لنأخذ مثلاً على ذلك ما رواه ابن حبيب في تاريخه عن حملة طارق ، يقول أن موسى بن نصير ، وكان عالم فلك كبير ، قد قرأ في النجوم أن فتح أسبانيا سيتم وتنبأ بمن سيفتحها ، لكن لم تحدد له تماماً لا شخصية القائد ولا القوات التي تقوم بعملية الفتح . لقد عرف أن رحلة فتح الأندلس ستكون في مراكب رومية ترسو في إفريقية ، ولذلك أمر طارقاً بأن يستولى على كل السفن التي تمضي نحو المرسى ، ولما عرف أن «طارق» ومعه شعب من البربر هو الشخص الذي يقوم بهذه المهمة ، أمره موسى بالإبحار نحو صحرة سيصادفها عند الشاطئ ، وبأن يبحث بين الرجال عن يعرف أسماء الشهور بالسرانية ، « فإذا كان يوم أحد وعشرين من شهر أيار ، وهو بالحساب الأعجمي مائة ، فاجر على بركة الله وعونه ، وامض على تأييده ونصره ، حتى يسبقك جبل أحمر في أسفله عين شرقية إلى جانبها تمثال صنم على صورة ثور ، فاكسر ذلك المثل ، واعمد إلى رجل طوال أشقر بعينه قبل ويديه

(١) أنظر ص ١٢٧ وما بعدها من هذا البحث .

شلل فاعقد له على مقدمك . . . عندما تلقى الشراع ستجد ربوة داكنة ،
 وفي الجانب الشرقى من هذه الربوة تجد صورة ، عندئذ ابحث عن شخص
 طويل أحول العين أسود اللون جاف اليد ، وعندما تصادفه اعط الأمر
 لمقدمة الجيش . . . » وقد نزل طارق شاطئ أسبانيا وبصحبه ١٧٠٠ جندي ،
 وبعد الفتح صادفتهم مخلوقات أنبأهم أنها من الجن . . . وفي مرحلة من مراحل
 الفتح وصل موسى إلى نقطة ، وجد عندها صناديق من النحاس ، ولجهله
 بأن في هذه الصناديق شياطين فتح واحداً منها ، فخرج شيطان وهز رأسه
 وقال لموسى - وهو يظن أن الذى يواجهه هو سليمان - أحيك يا تبنى الله - ،
 حسناً أن عاقبتنى فى هذا العالم ، ولما لاحظ أن الذى منحه الحرية ليس
 سليمان ، هرب وجرى خائفاً وحبس نفسه مرة أخرى (١) .

وهنا يسأل «دوزى» قائلا :

أليس حقيقة أنه يبدو وكأننا نقرأ قصصاً من ألف ليلة وليلة ؟ ومع ذلك
 يقدم لنا ابن حبيب ذلك وأمثاله باعتباره تاريخاً !! كيف نفكر فى هذه
 الظاهرة الغريبة ؟ هل فى مدى قرن واحد نسى السكان العرب فى أسبانيا
 تقاليدهم القومية وحولوها إلى أساطير غير معقولة ؟ إن ابن حبيب يذكر
 مغامرات موسى بن نصير عن علماء مصريين غير محددين فيقول : حدثنا
 بعض مشايخ مصر ومعنى ذلك أنه أثر أن يسأل زملاءه فى مجالس العلم
 عن قصة موسى وتاريخ فتح شبه جزيرة أيبيريا بدلا من أن يسأل بنى جلده
 عن أخبار هذا الفتح ، وليس هو وحده الذى فعل ذلك ، بل كل الطلاب
 الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق طلباً للعلم ، فعلوا الشيء نفسه ، فلم
 يقدروا مواطنهم وتعالوا عليهم ، بينما أكبروا أساتذتهم الذين يشرحون
 - سنن النبي - صلى الله عليه وسلم - ومسائل العقيدة ، وهم يظنون أن هؤلاء
 الأساتذة العظام يعرفون أشياء كثيرة ، ولا بد أن تكون معرفتهم بتاريخ
 أسبانيا أفضل من معرفة أهل البلد أنفسهم ، أما الأساتذة فإنهم لا يعرفون

(١) انظر : Pons Poigues; Ensayo p. 35

وبحث د. محمود مكي المشار إليه سابقاً ص ٢٢١ وما بعدها .

أو لا يكادون يعرفون شيئاً عن فتح شبه الجزيرة ، لكن صيت علمهم
- الذي يحرصون عليه - يذيع في الآفاق ، والأندلس بالنسبة لهم ولشعبهم
موطن العجائب ، فعلى شاطئ المحيط الأطلسي ، اكتشفت بلاد الجن ،
وفي الأندلس قلاع مسحورة وتماثيل متحركة ، وفيها الشياطين التي حبسها
سليمان في الصناديق ، ومن هذه الأمور العجيبة استمد هؤلاء الأساتذة
تلك الروايات (١) .

وواضح أن المستشرق الهولندي يريد لإرجاع الخرافات والأساطير في
هذه القصة وما شابهها إلى المصادر الشرقية وحدها .

وبرغم غلبة الطابع القصصي على بعض مرويات الليث بن سعد
ومدرسته ، إلا أن هناك مرويات عثمان بن صالح الذي حاول التخلص
من كل ما هو خرافي ، وحقق قدراً لا بأس به من النجاح وكذلك
سعيد بن عفير في مروياته ، ذلك أن تلك الأساطير كان أمراً تتطلبه
الحياة الإنسانية ، فلكى نصل إلى أمثال الرازي وابن حبان وابن حزم
فإنه كان من الضروري أن تمر بشخصيات مثل ابن حبيب

عن تلك المرحلة الأولية بقول « جارتيا جومث » :

أسطورة « ما » لا تخترع قط من فراغ ، ولا بد لها من أصل ،
وقد جرت العادة أن يكون من الصعب الوصول إليه ، فإذا وجدناه
فإنه يكون موثقاً بقوة (٢) .

وإذا كانت هناك غرائب وأساطير ، فإنها لا ترجع كلها إلى
أصول مشرقية ، بل فيها ما هو مشرق الأصل ، وفيها ما يرجع إلى
مصادر محلية إسبانية .

Dozy : Recherches, tomo 1, p. 32 tomo 3 p. p. 28 2-edicion. (١)

(٢) انظر :

Garcia Gomez : Novedades sobre la cronica anomina titulada
«Fathal - ondalls» en annales de l'institut de etudes oreintales, I, XII, ano
1954, Alger, Ip. 33.

اعتماد على بحث أ.د. محمود مكي المشار إليه ص ١٩١ .

على أن هناك من المؤرخين المسلمين من لم يصدق ما يروى من من أساطير حول الفتح الإسلامى ، وقد حاول الطيب المؤرخ « عريب بن سعد » ت ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م تصحيح بعض الأخبار فى هذا الصدد فهو يذكر ما يروى من أن طارقاً أصاب مائدة منظومة بالدرد والياقوت والزبرجد ، وهى التى يزعم الناس أن بها مائدة لسليمان بن داود - عليهما السلام - ولم تكن كذلك ، غير أن أهل الحسبة من العجم كانوا إذا حضرتهم الوفاة ، أوصوا للكنائس بمال تصنع منه كراسى توضع عليها مصاحف الإنجيل ، فكانت تلك المائدة مما يتفوق فيه الملوك (١)

يقول « خوليان ريبيرا » أن الأساطير ذات الطابع المحلى كانت تجرى على ألسنة الناس باللاتينية الدارجة أو ما يسمى الرومانسية ، وأن الأندلسيين أدرجوها بالعربية فى أشعارهم وأخبارهم ، وضرب مثلاً لذلك بالأراجيز التى نظمها نفر من الأندلسيين مثل الشاعر يحيى بن الحكم الجبائى المعروف بالغزال المتوفى ٢٥٠ هـ - ٨٦٤ م فقد كتب أرجوزة تناول فيها فتح الأندلس والوقائع التى جرت بين العرب والأندلسيين ، ويقول المؤرخ « ابن حيان » إن هذه الأرجوزة كانت متداولة بين الناس فى العصر الذى عاش فيه ، أى خلال القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى ، وهناك كذلك أرجوزة الشاعر تمام بن علقمة الذى وزر للأمير محمد والمنذر وعبد الله وقد عرف هذا الشاعر بأرجوزته التى ذكر فيها فتح الأندلس وتسمية ولايتها والأمراء فيها ، ووصف حروبها منذ دخول طارق وحتى أواخر عبد الرحمن الأوسط ٢٢٩ هـ - ٨٤٣ م .

وبرغم أن هذه الأراجيز مفقودة إلا أنه من المرجح أن بعض الأخبار التى نقلها ابن القوطية ت ٣٦٧ - ٩٧٧ م قد تضمنت قصصاً

(١) الحميرى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم :
الروض المطار ص ١٣١ ، ١٣٢ ، نشرة لى بروفنسال « القاهرة ١٩٣٧ .
ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزى .
تاريخ الأندلس ص ١٤٩ نشرة أ.د. أحمد مختار العباى ، مدير ١٩٧١ م .

شعبية من هذا النوع المحلى الأسباني الأصل مثال ذلك قصص القومس أو الكونت أوطياس بن الملك القوطى غيطشة ، وكان أول قومس فى أسبانيا الإسلامية ، وتذكر الرواية أن نفرأ من العرب لجأوا إليه يطلبون إليه ضياعاً ، فحفظ من شأنهم ، ثم كان كريماً معهم إذ وهبهم من أراضيم شيئاً كثيراً ، وأن عبد الرحمن الداخل لما اغتصب ضياع أوطياس هذا ، ذهب إليه ، وحدثه حديث الند للند ، فأعجب به صقر قریش وعينه رئيساً أو « قومس » على أهل ملته من النصارى .

ويرى « ريبيرا » أن هذه القصة وأمثالها لم يكتبها عربى فى الأصل ، وإنما كتبها أسباني مسيحي ، أراد أن يفسر بها واقعة سياسية ذات أهمية عليا عند أهل ملته من النصارى يعنى إنشاء رئاسة خاصة بهم (١) .

وقد استمر المؤرخون الأندلسيون يأخذون عن الروايات المسيحية حتى آخر الحكم الإسلامى فى الأندلس . وأهم مصدر لاتينى استخدمه المؤرخون والجغرافيون المسلمون فى الفترة السابقة على الفتح الإسلامى هو كتاب التواريخ السبعة فى الرد على الوثنيين للراهب الأسباني مولدا ونشأة « هروشيس » الذى عاش فى القرن الرابع والخامس للميلاد

وقد ترجم هذا الكتاب للعربية زمن بعد الرحمن الناصر ، ومنه نسخة بها إضافات فى جامعة كولومبيا بنيو يورك ، وهناك كتاب آخر نقل عنه المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون تاريخ نفس الفترة ، كتبه القديس

(١) أنظر : أ.د. أحمد مختار العبادى :

الإسلام فى أرض الأندلس ، مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد العاشر ، العدد الثامن

سنة ١٩٧٩ م ، ص ٧٣ .

ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٠٢ .

بالنشيا : PP. 28 .. Ensayo

تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة الجدى حسين مؤنس ص ٢٠٣ ، ٢١٦ ، القاهرة

١٩٥٤ م .

القديس « ايزدرو » San Isidro اسقف أشيلية أو آشور كما
يرد في المصادر العربية .

بل إن أخبار الممالك المسيحية الأوربية التي عاصرت الحكم الإسلامي ،
كثيرة ومتنوعة ، أكثر من ذلك هناك من المؤرخين من كان على
علم ليس فقط بتاريخ أسبانيا الإسلامية ، بل وبعض جنوب التاريخ
الفرنسي فيما وراء جبال البرانس ، ليس لذلك من تفسير إلا أن يقال
أن هؤلاء كانوا يعرفون اللاتينية بصورة تمكنهم من قراءة المدونات
المسيحية ، أو كانوا أعلى اتصال وثيق ببعض المؤرخين المعاصرين لهم
لهم ممن عرفوا تلك اللغة (١) .

النتيجة التي تريد إثباتها آخر الأمر هي أن المشرق لم يكن وحده
مصدر الرواية عند الأندلس ، الواقع أنهم في نطاق الرواية التاريخية
استمدوا معلوماتهم من المشرق كما استقوها من المغرب (٢) .

الحياة التاريخي عند مؤرخي الأندلس :

وما دنا بصدد الحديث عن وجهات نظر بعض المستشرقين ،
فإنه من المناسب أن نشير إلى آفة يراها « دوزي » عند مؤرخي الأندلس
في الفترات الأولى هي انعدام الحياة التاريخي ، نتيجة حتمية للوضع
الاجتماعي لهؤلاء الذين انكبوا على ممارسة هذا الفرع من فروع المعرفة .

يقول في مقدمة نشرته للبيان المغرب لابن عذارى المراكشي . إن
كثيرا من موالى بني أمية قد دونوا تاريخ أسبانيا يعني خلال الفترة الأولى
للوجود الإسلامي ، وكان يدفع لهم أمير يخصصون له ما يدونون ،
فكانت كتاباتهم تحت بصير الحاكمين ، فخفضوا لرقابة صارمة ، وكان

(١) أنظر : أ.د. أحمد مختار المبادئ : الإسلام في أرض الأندلس ، مجلة عالم الفكر
الكويتية ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، سنة ١٩٧٩ ، ص ٧٣ .

(٢) أنظر : عبد الله جمال الدين :

أبو مروان بن حيان ، أمير مؤرخي الأندلس ، بحث منشور في مجلة « أوراق » التي
تصدر عن المعهد العربي للثقافة بمديرية أسبانيا العدد الثاني ١٩٧٩ م .

عليهم أن يزونا كل عبارة حتى لا تنزل في كتاباتهم أية كلمة قد تغضب الحاكم الغيور على ملكه ومجده أسرته ، حتى لقد كان يسمح لهم بالإشارة إلى تقلبات هذا المجتمع النائر ، لكن لم يكن يسمح لهم بالتعبير عن أى استحسان أو تلمظ لآراء رؤساء العرب والبرابرة أى إزاء الأرستقراطية المضطربة ، وكان محروما عليهم التعبير عن أى شعور بالرافة أو الرفق نحو عنصر القوط البائسين المنهزمين أو نحو هذا الزعيم الشجاع العبقري الذى تمخض أسلحة السلاطين - يعنى ابن حفصون - كما كان يفرض عليهم الصمت القامى أمام الأسرار المرعبة التى احتفظ بها بين أسوار النسجون الكثيرة فى قرطبة ، لم يكتب بنو أمية تاريخ الوطن وإنما كتبوا تاريخ الأسرة الحاكمة مدفوعين بروح الأسرة فلم يكن يهمهم كتابة تاريخ البلد ولا حالة المجتمع أو حالة الحياة العامة أو كفاح القبائل فى سبيل الحرية ، وإنما كتبوا تاريخ الأئمة فقط ، وباعتبار هؤلاء الرواة رجال أدب ، فإنهم اهتموا كذلك بموت رجال الدين والأدباء ، وقدموا أخبارا لا تخلو من فائدة حول تاريخ الأدب ، وإن تركوا أحداثا سياسية ذات أهمية قصوى ، ومن غير الممكن إدراك الطابع العام للفترة التى يؤرخون لها إلا خلال سلسلة من الضباب . . . ويمضى «دوزى» أكثر فيتهم «ابن عبد ربه» صاحب «العقد الدريد» بأنه متملق وحقير ودجال يدهن لأدنى سبب (١) .

لكن هذا الكلام مبالغ فيه ، فمؤرخو التاريخ الإسلامى كتبوا فى ذلك مختارين وبمحض إرادتهم ، ولم يوجد بينهم مؤرخون رسميون إلا نادراً ، ولا يمنع ذلك من وجود عدد من المؤرخين وثقت صلتهم بالحكومة وتولوا بعض المناصب لها . ثم إنه من الظلم تطبيق معايير النقد التاريخى الآن على المؤرخين ومدوناتهم فى تلك الفترة المبكرة ، فالمنهج التاريخى الآن يقوم على جمع المادة من المصادر الأصلية ونقد الروايات وتنظيمها والربط بينها واستنباط الحقائق منها ، ويعنى المؤرخون الآن بدراسة نظم المجتمعات وتطورها وبحث الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وأحوال

(١) أنظر : البيان المغرب لابن عذارى ، نشرة دوزى ص ١٨ وما بعدها .

الشعوب (١) . فهل كان المؤرخ مطالباً بذلك في العترات الأولى ١٩ .
نكرر أنه من الظلم تطبيق مقاييس عصرنا على هؤلاء الذين عاشوا وكتبوا
في ذلك الزمان البعيد ؛ ولهذا فإن مستشرقاً آخر من بين الأسبان هو
«مورينو نيتو» Morena Nieto يرفض رأى «دوزى» ويقول أنه بالغ
بشكل واضح ووجهت كتاباته روح عدائية ولم يكن عادلاً مع هؤلاء
المؤرخين . نعم هناك حماس لدى هؤلاء في الدفاع عن الخلفاء ، لكن
لا ننسى أن الخلافة كانت رمز الطاعة والخضارة ، ولا بد أن يقوم عرشها
على دعائم ثابتة وإلا تصدع بنيانه وانقسم الناس فرقةً وانتهت أجماد الفتح ،
ثم هل كان من المنتظر أن تجد حركات الحياة والخروج على سلطان الدولة
استجابة حسنة لدى جموع الشعب المسلم ؟ هل كان من المنتظر أن يبرهن
المؤرخون على حلم مع المعتدين بأنفسهم من رجال القبائل الذين يميلون
إلى الفوضى ؟ إنه لأمر بعيد عن الصواب أن نطالب هؤلاء الكتاب بما لم يكن
ممكناً آنذا (٢) .

ثم ان ابن خفصون هذا الذى أشار إليه «دوزى» باعتباره عبقرياً شجاعاً
تحدى الخلفاء ، ليس إلا سفاحاً مجرماً قاطع طريق (٣) ، غداراً تحصن بجبل
ببشتر Babastro وقام بعمليات سلب ونهب مع فرقة مجرمة التفت حوله ،
وتحول إلى النصرانية ثم عاد إلى الإسلام (٤) .

(١) أنظر : أ.د. سيدة كاشف . مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه . الفصل
الخامس ص ٤٩ - ٥١ .

(٢) أنظر : (Jose) Moreno Nieto :

Estudios Criticos Sobre los historiadores Arabigo Espanol, p. 399,
Madrid, 1882.

(٣) أنظر الحريرى : محمد عيسى ، ثورة عمر بن حفون : زعيم المولدين في الجنوب
الاسبانى ص ١٣١ ، ١٣٢ ، القاهرة ١٩٨٢ م .

(٤) أنظر : ابن حيان : المقتبس ص ٩ من القسم اذى نشره ملتشور ، م انطونيا ،
باريس ١٩٣٧ م .

ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١١٦ وما بعدها نشر ليني بروفنسال بيروت
بدون تاريخ .

محمد عبد الله عنان : حولة الإسلام فى الأندلس ص ٣٠٧ وما بعدها من القسم الأول ،
ص ٣٨٠ - ٣٨٧ ، من القسم الثانى ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

وأخيراً لماذا وصف ابن عبد ربه بالدجل والتلق ، هل لأنه قال شعراً
هنا فيه الأمير عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ = ٩١٢ - ٩٦١ م
كما فعل غيره - بسبب انتصاره على هذا الثائر المستغل السفاح ؟ ! ألم يكن
في هذا معبراً عن شعور المسلمين بتلك المنطقة ؟

ابن مزين :

نمضى في رحلتنا مع مؤرخي الأندلس ، فتصادف رجلاً يظن أن له
أعمالاً تاريخية هو :

يحيى بن إبراهيم بن مزين ، مولود في قرطبة وأصله من طليطلة ، كان
مولى لرملة ابنة الخليفة عثمان - رضى الله عنه - (١) ، رحل إلى المشرق
أ أيام الأمير عبد الله بن الحكم ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ - ٢٨٨ - ٩١٢ م وسمع من
علماء العراق والمدينة المنورة ومصر ، ثم عاد إلى مسقط رأسه حيث تولى
القضاء وقد ترك أعمالاً وشروحاً فقهية وحديثية وقرآنية ، ويعتقد في الآن
نفسه أن له بعض الأعمال التاريخية حيث يذكره « ابن الفرضي » مصدراً
لبعض تراجمه ، وقد مات في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين ومائتين
٢٥٩ هـ - ٨٧٣ م على أرجح الأقوال .

ولا يوجد من أعماله إلا أجزاء من تفسيره تلوطاً مالك محفوظ في مكتبة
القرويين منذ سنة ٣٩٤ هـ .

وبرغم أن له ترجمات عند :

ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس ترجمة ١٥٥٨ ص ١٨١ من طبعة

القاهرة .

والحميدى في جذوة الاقتباس ترجمة رقم ٨٨٠ ص ٣٧٣ من طبعة

القاهرة .

(١) هكذا في العديد من المصادر ، وعبارة « السمعاني » في « الأنساب » ٢٨١-٥ طبعة
عبد الله عمر البرودي ، بيروت سنة ١٩٨٨ هـ وهو مولى آل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

والنصبي في بغية المتمس ترجمة رقم ١٤٥٨ ص ٤٩٧ من طبعة القاهرة .

وابن خير في الفهرسة ٣٠٢ .

وابن فرحون في الديباج المذهب ٣٥٤ - ٣٥٥ .

والزركلي في الإعلام ١٦٠/٩ .

ورضا كحالة في معجم المؤلفين ١٨٢/١٣ .

وفؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي ١٤٦/٢ من ترجمة د. محمود فهمي حجازي - طبعة القاهرة .

والسمعاني في الأنساب ج ٥ ص ٢٨١ من نشرة عبد الله عمر وغيرهم بما لا يخرج عما في هذه المصادر .

برغم كل ذلك لا نستطيع أن نعرف أو نحكم على منهجه في التاريخ ، نظراً لأن كتابه في هذا الفن مفقوداً كما أشرنا .

نأتي بعد ذلك إلى :

محمد بن موسى الرازي (١) :

وهو محمد بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكنتاني الرازي ، مؤرخ وفد على ملوك بني مروان بالأندلس من المشرق تاجراً ، وهو أقدم ثلاثة من المؤرخين العرب يحملون لقب الرازي ، وقد ولد بالري من بلاد فارس ومن هنا جاء لقبه ، وأيضاً لأنه ينحدر من قبيلة كنانة لقب بالكنتاني ، وقد جاء إلى أذربايجان نحو سنة ٢٥٠ هـ ٨٦٤ م وجلب معه مجوهرات وعقاقير لومنتجات شرقية أخرى للتجارة فيها ، وأقام بقرطبة عاصمة الأيوبيين آنذاك ، وأهله بشاشته وحسن معاملته وثقافته أن يتولى الوزارة لمحمد ابن عبد الرحمن ، الأمير الخامس في سجل السلالة الأموية ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ -

(١) أنظر : جايانجوس (Pascual de) Gayangos

Memoria de la academia, tomo XIII, p. 13, Madrid, 1952.

٨٥٧ - ٨٨٦ م وقد نال ثقة الأمير فألحقه بمناصب مهمة وتمكن من إخماد
نيران الخلافات بين العرب والمولدين في غرناطة ، وقد مات الرازي في
طريق عودته من هذه المهمة سنة ٢٧٣ هـ - ٨٨٦ م في أول عهد المنذر
الذي خلف محمداً .

وتذكر كتب التراجم أنه ألف كتاباً عن التاريخ والأنساب عنوانه
«الرايات» وكان مثل أبيه راوية لأحداث شهداها في المشرق ، كما كان شاهد
عيان لأموار جرت في الأندلس .

وللمستشرق جايمنجوش Gayangos تعليق مهم على كتاب الرايات
هذا وما جاء فيه بشأن سفارة للامبراطور المراكشي تمت في عهد كارلوس
الثاني ٨٣٩ - ٨٨٨ م يقول :

« فيما يتعلق بالرحلة والسفارة التي حدثت في عهد «كارلوس الثاني» ،
وقام بها وزير للامبراطور المغربي «المراكشي» كان موفداً إلى أسبانيا بشأن
السلام ، فإن الرازي يذكر خبراً مهماً جداً لا يمكن أن يمر دون تعليق عند
ذكر طريف : المنطقة التي دخل منها الوزير ، وكانت مختلفة كما نعلم ،
وكان قد قدم على مدينة سبتة قبل طارق ، وهو يتخذ من هذا تعلقاً لرواية
حكاية هذه الرحلة وطريقها من هذا الميناء إلى البلاط مروراً بأشبيلية وقرطبة
إنها أحداث بلا نهاية مستخرجة من كتب مجهولة تماماً لكنها بدون شك
كانت معروفة في زمنه أنها تتناول الجزيرة ومسجدها ، وكانت تلك الجزيرة
تسمى أحياناً «الرايات» ، ثم يشرح أصل هذا الاسم ويضيف :

قال محمد بن مزين : وجدت في خزانة بإشبيلية سنة إحدى وسبعين
وأربعمئة أيام الراضى بن المعتمد ، سفرأ صغيراً من تأليف محمد بن موسى
الرازي أسماه بكتاب «الرايات» ذكر فيه دخول الأمير القائد موسى
ابن نصير ، وكم راية دخلت الأندلس من قریش والعرب ، فعدها
نيفاً وعشرين راية ، منها رايان لموسى بن نصير عقد له على إحداهما أمير
المؤمنين عبد الملك بن مروان على إفريقية وما وراءها والأخرى عقدها له

أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك على إفريقية أيضاً وما يفتحها وراءها إلى الغرب ، وراية ثالثة لابنه عبد العزيز الداخل معه وسائر الرايات لمن دخل معه من قريش ومن قواد العرب ووجوه العمال ، وذكر فيها سائر البيوتات ممن دخل دون راية . . . ويمضى الرازي ليذكر : « قيل أن اجتماعهم لهذا المشهد الكريم كان في الموضع الذي كان فيه مسجد الرايات في الجزيرة الخضراء وأنهم باجتماع الرايات في ذلك اليوم يسمى وبها سمي الرازي كتابه (١) .

وقد أضافت بعض المصادر الأخرى نقلاً عن المصدر نفسه : قالت : أن موسى بن نصير أجاز بمن معه من العرب من جبل القردة وهو الذي حرف بعد ذلك بمرسى موسى ، إلى جهة «الخضراء» يرومون التوغل في الأندلس ، وحين عزم على الحركة من الخضراء جمع حولهم رايات الأعراب ووجوه الكتائب ، وتفاوضوا كيف يكون دخولهم ، فاتفق رأيهم على المشي إلى إشبيلية وأن يبدأوا بغزو ما بقي من غربها إلى «اكتونة» فقيل أن اجتماعهم هذا كان في الموضع الذي بنى فيه مسجد الرايات بالجزيرة الخضراء وسمى بذلك لاجتماع الرايات فيه ، وبها سمي «الرازي» كتابه (٢) .

ويبدو من خلال النص الفريد الباق لنا ، أننا أمام مؤلف صادق ثقة في نقل ما يروى في أسلوب رصين خال من الخيال والمبالغات ، وقد مضى بنا

(١) أنظر : Pons Poigues : Ensayo - pp. 45.

وقد ذكر « جاينجوس » في الهامش أن المخطوط الذي نقلت هذه المعلومات كان مخط

Manual Vacas Merino

وأنه كان مملوكاً لـ . Serafin Este Banez Calderon.

(٢) أنظر : رحلة الوزير في اقتكالك الأسير ص ١١١ ، ١١٢ .

ابن الأبار : التكلة لكتاب الصلة ج ١ : ٣٦ (ت : ٨١٠٤٨) .

المقرى : نفع الطيب ج ٢ ص ٤٧٣ من طبعة بولاق ، القاهرة .

خير الدين الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، طبعة القاهرة ، ١٩٥٦ م .

عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ج ١٢ ص ٦٢ ، بيروت ، ودائرة المعارف

الإسلامية ، مجلد ٩ ص ٤٤٧ ، ودائرة المعارف أول من نبه إلى أن كتاب الرايات من

تأليف « الرازي » .

خطوة أبعد في استخدام المنهج الصحيح لرواية وكتابة التاريخ ، مما يجعل
الإنسان يشعر بالأسف لضياع هذا العمل العظيم

ابن علقمة :

اسمه بالكامل تميم بن عامر بن أحمد بن غالب بن تميم بن علقمة، واحد
من مشاهير المؤرخين الأندلسيين ، جده الأعلى تميم بن علقمة كان مولى شهيرا
لبنى أمية ، وقد تبنى بكل حماس قضية عبد الرحمن الأول ١٣٨ - ١٧٢هـ ٧٥٦هـ -
٧٨٨م منذ كان هذا الأمير يخطط ويحلم بحكم أسبانيا . أما تميم الذي نحن
بصدده، فقدوزر للأمراء الثلاثة محمد والمنذر وعبد الله ، ومات في فترة حكم
الأخير سنة ٢٨٣هـ - ٨٩٦ عن عمر يزيد على التسعين عاما .

وقد كتب أرجوزة شعرية تناول « تاريخ الأندلس » اسماءها « لأرجوزة »
وله الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولايتها ،
والخلفاء فيها ووصف حروبها من وقت دخول طارق بن زياد مفتتحها إلى
آخر أيام عبد الرحمن بن الحكم ... أي عبد الرحمن الثاني ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ -
٨٢٢ - ٨٥٧م .

وحيث أن هذا العالم توفي سنة ٢٨٣ > ٨٩٦م فإنه يبدو من الطبيعي أن
يقف تأليف هذه الأرجوزة نحو هذه السنة .

وللأسف هذا العمل مفقود تماما ، ويذكر « دزوي » أنه لم يبق ولا حتى
بيت واحد من هذه الأرجوزة أو الحولية الشعرية ووفقا لابن القوطية فإنه ينبغي
أن تكون قد تناولت قصة سارة حفيدة غطيشة Witeza ، كذلك يشهد ابن
دحية الكلبي بكتابة تميم بن علقمة لهذا العمل الشعري .

(١) أنظر : ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ، الحلة السيرة ص ٧٧ .

الغزيري : (Casiri (Miguel المرجع السابق : ج ٢ ص ٣٦ .

دزوي : (Dozy (Reinhardt

Rech erches sur l'histoire et la literature de l'Espagne pendant le
moyen age 3 - ed leyden 1881, p. 268.

الخشنى :

نأتى بذلك إلى ذكر واحد من أبرز من كتبوا حول تاريخ الأندلس هو :
أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كليب بن أبي
ثعلبة الخشنى .

ولقب « الخشنى » فى التاريخ الأندلسى يطلق على مؤلفين مختلفين فى
هذا الفن هما محمد بن عبد السلام هذا ومحمد بن الحارث ، فالأول هو الذى
يعيننا وقد نشأ وشب فى الأندلس ، وكأقرانه قام برحلة إلى المشرق
الإسلامى طلبا للعلم ، وحضر الدروس فى مدارس البصرة وبغداد ومكة ومصر ،
ثم رجع بعد ذلك إلى الأندلس حيث أدخلها علما غزيرا فى ميادين الحديث
النبوى واللغة والشعر (١) واشترك فى تعليم وتربية الحكم الثانى ٣٥٠
٨٣٦٦ = ٩٦١ - ٩٧٦ م فكان أستاذا لهذا الأمير مع قاسم بن أصبغ وأحمد بن
دوهم وآخرين .

ولم يكن للخشنى دراية كبيرة بالفقه ، وربما لهذا رفض قبول ولاية
القضاء مما سبب له محنة من مع السلطة ، يقول ابن الفرضى : إن الأمير أراد
له أن يتولى القضاء فأبى ، وقال « أباية إشتاق لا إباية عصيان » :

أبيت كما أبت السموات والأرض ، لى ولد وأنا أحبه ، لى ولد وأنا أحبه ،

لكن معارفه الشعرية أتاحت له صداقة الأمير من جديد ، وظل كذلك
حتى مات سنة ٨٢٨٦ - ٨٩٩ م ، وإن رأى الغزيرى - وعليه اعتماد وستنفلد -
أنه مات سنة ٨٣١٠ - ٩٢١ م .

وفى ما يتعلق بالتاريخ فإن الغزيرى ، وتبعه وستنفلد ، جعله مؤلفا لكتاب

(١) المقرئ : أحمد بن محمد التلمسانى .

نفع الطيب ج ١ ص ٢٥٦ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

في التاريخ العام ، لكن الضبي يؤكّد - عكس ما يؤكّده عبد الغنى بن سعيد - أن التاريخ الذي ينسبونه إليه ليس له وإنما هو لمحمد بن الحارث ، يقول :

وذكره أبو محمد عبد الغنى بن سعيد قال : محمد بن عبد السلام الخشني القرطبي صاحب تاريخ الأندلس ، روى عن وصاح فوهم من وجهين : أحدهما أنه جعله صاحب التاريخ ، والخشني الذي ألف التاريخ هو محمد بن حارث الخشني ، ولعله لما رأى التاريخ منسوباً إلى الخشني ظنه محمد بن عبد السلام ، وإنما هو محمد بن الحارث (١) .

وهذا الأخير توفي في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي وهو صاحب كتاب قصة قرطبة الذي نشره د خوليان ريبيرا مع ترجمة أسبانية في مدريد سنة ١٩١٤ م ، وأعاد نشره عزت الطار بالقاهرة عام ١٩٥٤ م ، وهو أيضاً صاحب طبقات علماء إفريقية الذي نشره محمد شنب في الجزائر مع ترجمة فرنسية عام ١٩١٦ - ١٩٢١ ثم أعاد نشره عزت الطار بالقاهرة سنة

(١) أنظر ابن الفرضي :

تاريخ علماء الأندلس ، ص ١٤ وما بعدها من طعة القاهرة القسم الثاني ، ج ١ ص ١٣٢ ،
٢٢٠ طبعة مدريد ١٨٩٠ - ١٨٩٢ .

والحميدي : جذوة المقتبس ص ٦٨ وما بعدها من طعة القاهرة .

المقرئ : نفع الطيب ١ : ٦١٨ .

ابن خاقان : الفتح بن خاقان .

مطبع الأنفس ص ٥٦ طعة القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ = ١٨٨٥ م .

الفزيري : Casiri

Bibliotheca arabico Hispana escurialensis Materiti 1760 - 1770.

ج ٢ ص ١٣٤ .

Wustenfled : وستنفلد

Liber classium Virorum qui korani et traditionum cognitione excelluerunt. Lapidè exscribendum curavit. ferd. Wustenfled : Gottingen, 1833. p. 95.

١٩٥٤م وأعيد نشره بعد ذلك في مجلد مع كتب أخرى في بيروت بدون تاريخ (١).

ابن وضاح :

في نطاق القرن الذي نعرض له ، نصادف عالما اهتم بتراجم لشخصيات من الجنسين - والتراجم جزء من التاريخ - وقد اشتهرت هذه الشخصية بالحماسة والغيرة الدينية ، ذلك هو محمد بن وضاح بزيع القرطبي مولى عبد الرحمن الأول .

ولد بقرطبة سنة ١٩٩ هـ = ٨١٤م وقام برحلتين إلى المشرق وسمع من أكثر الأساتذة تمكنوا وعلموا ، ووصف بأنه رجل قنوع متمكن من دراسة الحديث النبوي ونقده صحيحه من عليه ، وبه ويبقى ابن مجلد أصبحت الأندلس دار حديث ، ومن وقته اعتمد أهل الأندلس رواية « روش » ، وقد أصاب شهرة كبيرة ، لأنه كان أستاذا للعالم الشهير قاسم بن أصبغ بن سلالة وهب بن مسرة ، وقد مات سنة ٢٨٦ هـ أو ٢٨٧ هـ = ٩٠٤-٩٠٥م .
وله من المؤلفات كتابا بعنوان « العباد والعباد » ، وبقي من أعماله كتاب عنوانه « اتقاء البدعة » المنشور ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة

(١) أنظر :

فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ج ١ ص ٥٨٩ .

وهناك ترجمة لمحمد بن عبد السلام الحشني عند كل من :

ابن ماكولا : الإكمال ج ٣ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ، دار الكتاب الإسلامي .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٢٧

طبعة بيروت ١٩٨٤ م ، تذكرة الحفاظ ، ترجمة رقم ١٨ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، الطبعة

العاشرية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٣٣ هـ .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن .

طبقات الحفاظ ص ٢٨٤ ، ترجمة رقم ٦٤٩ ، تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة ١٩٧٣ م .

ابن عبد البر : أبو يوسف عمر بن عبد الله أبو محمد .

التمهيد ج ١ ص ١٦ ، تحقيق مصطفى أحمد الملوحي ومحمد عبد الكبير البكري ص ١٦٧ .

عمر رضا كخالة : معجم المؤلفين ج ١٠ ص ١٦٨ .

كما أن له ترجمة عند غير هؤلاء بما لا يخرج عما ذكروه .

١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م ١٢٧/٢ ، وكتاب فيه « ما جاء من الحديث في النظر إلى الله » وهو موجود بتونس عند الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب .
ولسنا نعرف من عمله في التراجم التاريخية إلا عنوانه فهو مفقود تماما ،
ومن هنا فإنه من غير الممكن الحكم عليه (١) .

(١) أنظر : فؤاد سركين .

تاريخ التراث العربي ج ١ ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، وأنظر :

الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة .

بنية الملتبس ترجمة رقم ٢٩١ ص ١٣٣ ، وما بعدها من طبعة القاهرة .

المقري : نفع الطيب ج ١ ص ٤٦٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠١ .

جايمنجوس : Pascual de Gayangos

The history of the Mohammedon Dynastisn Spain London 1840 -
1843, tomo 2 - p. 396.

ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : ترجمة رقم ١١٣٦ ص ١٥ ، وما بعدها من

القسم الثاني .

ابن خير الأشبيل : أبو بكر محمد بن خيرة .

فهرسة ما رواه عن شيوخه ، ج ٩ ، ١٠ من المكتبة الأندلسية ، طبعة كويدرا ورييرا ،

مدريد ١٨٩٣ - ١٨٩٥ .

وقد ترجم لابن وضاح كل من :

الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان .

ميزان الاعتدال في نقد الرجال . ترجمة رقم ٨٢٩٠ ، ص ٥٩ من القسم الرابع بتحقيق

علي البجاوي ، نشر الحلبي بالقاهرة . تذكرة الحفاظ ترجمة رقم ١٨ ، ج ٢ ص ١٩٨ ،

طبعة الهند ، ١٣٣٣ هـ .

ابن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون البصري :

كتاب الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب ص ٢٣٩ ، طبعة بيروت بدون تاريخ .

ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي :

لسان الميزان ، ترجمة رقم ١٣٧٢ ج ٥ ص ٤١٦ ، طبع حيدر آباد الدكن بالهندسة

١٣٣٣ هـ .

الحفاجي : أحمد شهاب الدين الحفاجي المصري .

نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ج ٢ ، ص ٣٨٠ ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ .

مخلوف : محمد بن محمد .

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، ترجمة ١١٦ ص ٧٦ ، طبعة بيروت .

وغير هؤلاء كثير من القدماء والمحدثين .

ويلاحظ أن القاسم المشترك بين هؤلاء جميعا أنهم رحلوا إلى المشرق وتلقوا دروسهم فيه ، فالمشرق كان كعبة القاصدين من الأندلسيين ، وفي مدارس مصر والعراق والحجاز تعلم الأندلسيون وتخرجوا على أيدي كبار العلماء هناك وتعلموا منهم حتى تاريخ بلدهم نفسه على النحو الذي ذكرناه سلفا ، وهذا الأمر يتمشى مع طبائع الأشياء ، فقبل أن ينبع الأندلسيون أنفسهم ، وقبل أن ينشئوا مدارس ومراكز علمية زاهرة في قرطبة وغيرها من الحواضر ، وقبل أن يؤسسوا جامعات يحج إليها طلاب العلم من كل أرجاء أوروبا فيما تلا القرن الثالث الهجرى = التاسع الميلادى من قرون ، كان لابد أن يعجم عودهم ويتخرج منهم أساتذة تربوا على أيدي الأعلام المشاركة ونهلوا منهم ، وقضوا سنوات وسنوات يسمعون ويحفظون ويجازون ثم يعودون إلى بلادهم يحولونها إلى خلايا نخل علمية تعطى رحيقها للطلاب والقاصدين .

نعم فقدنا للأسف الإنتاج التاريخى لهذه الفترة المبكرة ، لكن كان من الضرورى أن يمر بها ذلك الإنتاج التاريخى ، قبل أن يصل إلى القمة كتابة ومنهجيا وأسلوبيا ، ممثلا في أعمال ابن حزم وابن حيان وغيرهما .

معارك بن مروان :

نحن الآن مع مؤلف ربمات في نهاية القرن الثالث الهجرى ، ذلك هو : أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير .

ووائح - أنه من سلالة موسى بن نصير وأنه كتب تاريخ جده الأعلى الخاص بفتح الإندلس « وقد ألف في أخبار موسى في فتوح الإندلس .. رجل من ولده يقال له معارك بن مروان ، ذكره أبو سعيد بن يونس في عمل له بعنوان « كتاب الأئمة من المصنفين » جمع فيه معلومات متنوعة ومفصلة عن

كل واحد منهم، مات في القرن الثالث الهجري ، ولم نتمكن من تحديد تاريخ وفاته (١).

ومن حسن الحظ أنه يوجد نص مكتوب يغلب على الظن أنه لهذا المؤلف من خلاله يمكن معرفة أسلوبه ومنهجه ، وذلك هو القسم الخامس بالأندلس وشمال إفريقية ضمن كتاب « الإمامة والسياسة » المسسوب خطأ لابن قتيبة ، وهذا النص كان موضوع دراسة قيمة قام بها الأستاذ الدكتور محمود علي مكى باللغة الأسبانية ، وجعلها توطئة لنشرته للقسم الخاص بالأندلس من كتاب عبد الملك بن حبيب ، وقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان : الجديد حول مؤلف القسم الخاص بالأندلس في العمل المجهول المؤلف والمعتون : الإمامة والمعتون « الإمامة والسياسة » .

وقد عرض آراء الباحثين من المستشرقين حول هذا الكتاب وحول نسبة خطأ لابن قتيبة وحول القرن الذي ينبغي أن يكون هذا العمل قد كتب فيه ، وأشار إلى أن الجميع يتكلمون عن مؤلف واحد لهذا الكتاب ، ولكن ما ظهر للدكتور محمود مكى هو أنه مجموعة من الروايات والأعمال المنسوبة لأكثر من واحد ، فالعمل يخلو من التماسك ، والتناسق ، والأسلوب ليس واحداً في كل أقسام الكتاب ، فالقسم الخاص بالأندلس وبلاد الشمال الأفريقي يقدم بصورة موسعة ومفصلة جداً تختلف عن الصورة التي كتبت بها الفصول الأخرى مما يدفع إلى الاعتقاد أن العمل قد طعم بها وكتبته أيد غير الأيدي التي كتبت الأقسام السابقة منه واللاحقة عليه ، ثم هناك نغمة مبالغة في حكايات القسم الخاص بالأندلس ، وكذلك عند الحديث عن مآثر موسى بن نصير ومعاركة

(١) أنظر : Pons Poigues : Ensayos .. p. 49

الضبي : بغية الملتبس ج ١ الترجمة الخاصة بموسى بن نصير ص ٣٣٤ .

ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ترجمة رقم ٨٥٩ .

وهو يذكر عملاً عن أسبانيا من تأليف معارك النصيري ، وعبارته « وروى عنه معارك النصيري في تاريخ الأندلس » .

الحميدى : جلوة المقتبس ترجمة موسى بن نصير رقم ٧٩٣ ، ص ٣٣٨ .

جاينجوس (Pascual de Gayangos) : الدول الإسلامية في أسبانيا بالانجليزية

ج ١ ص ٢٩٨ ، ٥٤٨ .

الغزيري : المرجع السابق ج ٢ ص ١٣٩ .

مع الجن والغنائم الأسطورية التي حصل عليها والعجائب التي شاهدها في جولاته .
الخ ، وهذه النعمة لا تتوافر لباقي الكتاب ، ثم أن مصادر المعلومات المتمثلة
في الأساتذة بهذا القسم الخاص بالأندلس وشمال أفريقيا لا تظهر هي نفسها
في بقية الكتاب .

من ناحية أخرى — وهذا ما يعنيننا هنا — أن هناك اتفاق بين روايات الإمامة
والسياسية المتعلقة بفتح الأندلس وبين روايات تاريخ ابن حبيب ، وأعمال
الجغرافيين من الرحالة مثل : ابن خرداذبة وابن الفقيه وابن رسته ، وكل هذه
الأعمال ألقت في القرن الثالث الهجري — التاسع الميلادي ، ومن هنا لا يسعد
أن يكون القسم الخاص بالأندلس والشمال الأفريقي قد تم في نفس القرن .

أما المكان الذي ألف فيه هذا الكتاب ، فينبغي أن يكون مصر ، لأن
المواطن والأسماء الجغرافية المصرية تذكر فيه بصورة متقنة توحي بمعرفة المؤلف
لها معرفة جيدة ، مثل كلمة «سوق البربر» التي ترد كثيراً في فتوح مصر لابن
عبد الحكم ومثل باب زويلة ومنية غمر وكنيسة الرقيق بالاسكندرية ، وفي معلوماته
عن هذه المواضع يعتمد على أساتذة مصريين ، يذكرهم أحياناً بصورة واضحة ،
وأحياناً يلمح إلى جنسياتهم المصرية ، من ترى يكون مؤلف هذا الكتاب؟

بعض النصوص الموجودة عند بن القرضي والحميدي والضبي تشير
إلى تاريخ كتبه واحد من سلالة موسى بن نصير (حفيد لحفيدة) هو معارك
بن مروان السابق الإشارة إليه ، يتناول هذا المؤلف في كتابه الدور الذي قام
به موسى بن نصير في فتح الأندلس ومآثره في هذا العمل العظيم ، وعنوانه
وفقاً لابن القرضي « أخبار الأندلس » (١) .

(١) ذكر جاحنجوس Gayangous

في كتابه تاريخ الدول الإسلامية في أسبانيا ٢٩٨-١ ، إعتاداً على «المقرى» أن واحداً
من سلالة موسى بن نصير ألف كتاباً عنوانه « كتاب الأئمة من المصنفين » وقبل « يونس
بريجس » هذا الرأي ، والواقع أن ذلك جاء نتيجة خطأ في قراءة عبارة المقرى في نفع الطيب
ج ١ ص ٢٦٨ وهي :

فقد قرأت كلمة «أنه» خطأ على أنها «ابنه» ، وترتب على ذلك الخطأ الذي أشرنا إليه .
أنظر مقالة د. محمود على مكي المنشورة بالأسبانية في مجلة المعهد المصري للدراسات
الإسلامية بمطرد ص ٢١٣ هامش .

وقد ظنه «بونيس بويجس» اندلسيا فترجم له في معجمه ، والواقع أن هناك أسبانيا قوية تحمل على نسبته لمصر .

ذلك أننا نرى أن عبد العزيز بن موسى الذي تركه واليا على الأندلس بعد عودته إلى المشرق ، مات مقتولا ، لكن بقيت بعض ذريته هناك حتى القرن الرابع الهجري ، نعرف ذلك من حلال ترجمته عند ابن بشكوال (١).

أما «مروان بن موسى» الجد الأعلى لمولفنا ، فقد كان مصاحبا لموسى عند عودته من الأندلس إلى المشرق ، وبقي فترة في مصر طالبا للراحة ، ويمكن افتراض أنه أمضى بقية حياته في مصر ، لأننا نرى بعد انتهاء نكبة موسى مع الخليفة سليمان بن عبد الملك ، أن آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد يعين أحد أبناء مروان بن نصير واليا على مصر سنة ١٣٢ هـ = ٧٤٩ م ، بعد أن كان قد تولى مصب صاحب الصلاة ثم صاحب الخراج ، والشخص الذي نعينه هو عبد الملك بن مروان حفيد فاتح الأندلس وجد معارك المورخ ، ولابد أن يكون قد استمر واليا على مصر لأشهر معدودات فقط ، فقد قضى على ملك الأمويين وحل العباسيون محلهم ، ورغم ما تعرضت له الأسرة الأموية من تعذيب على أيدي بني العباس ، إلا أن عبد الملك ابن مروان لم يصب بسوء بسبب سلوكه مع العباسيين ، حتى أن أحد أفراد الأسرة وهو أخو مروان (عم جد معارك) - وكان صاحب الشرطة زمن الأمويين - قد عين «صاحب الخراج سنة ١٤٤ هـ = ٧٦١ م للعباسيين ، عينه والي مصر يزيد بن حاتم .

فلذا وضعنا في الاعتبار أن سلالة موسى بن نصير لم تعان من اضطهادات زمن الحكم العباسي ، وأنها تمتعت بوضع متميز ، أمكننا أن نقرر أنهم لم

(١) أنظر : ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك .

الصلة ترجمة ١٠٦١ ، وهو المجلد الأول والثاني من المكتبة الأندلسية ، مدريد ١٨٨٤

يفادروا مصر ، وأن «معارك» بهذا مؤلف مصري وليس اسبانيا ، إذ لا يعقل أن رجلا نبيل الأصل مثل فاتح البلاد ، قد نسيه مواطنوه تماما للدرجة التي تجعل أن الوحيد الذي أعلمهم به وزودهم بتاريخه هو المؤرخ المصري أبو سعيد بن يونس .

المؤلف لهذا القسم الخاص بالأندلس وثال إفريقية من كتاب «الإمامة والسياسة» ، مصري إذن ، عاش في القرن الثالث المجري القرن التاسع الميلادي ومعارك عاش في أوائل أو أوسط القرن الثالث أوائل أو أوسط التاسع الميلادي ، فهل معارك هو ذلك المؤلف ؟

نعم ، فالتوافق الذي أشرنا إليه سلفا بينه وبين مؤلفي وجغرافي الرحلات في القرن المذكور ، يؤكد تلك الحقيقة ، أضف إلى ذلك المقارنة بين هذه القطعة وبين القليل الذي وجد عند الحميدى وابن الفرضى ، والذي يقود إلى :

١ - القطعة . وثع الدراسة تعني فقط بالدور الذي قام به موسى بن نصير في فتح الأندلس ، مع إضافة ما يتعلق بالشمال الأفريقي^١ ، فالعمل الذي يدور حوله النص كله عن موسى ابن نصير مع إغفال كامل لاسم «مغيث الرومي» الذي ينسب إليه فتح قرطبة ، ومع ذكر قليل جدا يتضمن عدم تقدير لطارق بن زياد هذا يتفق مع كتاب «معارك» الذي يدور حول موسى الجد الأعلى للمؤلف ، وما يتعلق به من أخبار عسكرية وفقا للحميدى والضبي .

٢ - تنسب القطعة إلى موسى كل الأعمال البطولية حتى الخيالي منها والزائد عن الحد بشكل يلحق بقديس أكثر مما يتفق مع قائد عسكري ، أنها تدفع عنه كل الاتهامات ، وتلغى دور كل من «طارق ومغيث» بصورة متعمدة ومقصودة ، لأن كليهما عدو لدود لموسى ، كان سبب نكبته ، ولهذا لم يعن المؤلف بإبراز ما كان لهم من دور في فتح الأندلس .

بين الروايات التي تدافع عن موسى تلك الرواية المشحونة بالتفاصيل ، وفيها يظهر الخليفة الوليد بن عبد الملك مهتما بالشائعات التي كانت تجري

بصورة مستمرة عن تمرد موسى بن نصير ، وقد أصدر الخليفة أوامره لإمام مسجد دمشق أن يبتهل إلى الله القوى القادر أن ينتقم من هذا القائد المنتصر ، وفجأة وبينما الإمام متهيؤ لذلك ، إذا بالتابعي المشهور على بن رباح - رفيق موسى في الفتح ورسوله - يدخل عجلاً ، ويطلب من الناس في خشوع أن يكفوا عن الدعاء على المجاهد الكبير «الذي لم يفكر قط في الثورة على العاهل الواجب طاعته» ، وأنه هو نفسه - يعني على بن رباح - قد وصل لتوه من هناك بحمل أخبار انتصارات وأفضال جديدة ، من الله بها على «موسى» مع مغنم كثيرة لأئمة المؤمنين وللناس كافة .

ويبدل المؤلف قصارى جهده ليبرهن على أن موسى هو الذي استولى على كل المغنم التي غنمها المسلمون في الأندلس ، والتي تتكون من كنوز خيالية ، ومنها مائدة سليمان العجيبة التي ينسب معظم المؤرخين إلى طارق فضل الحصول عليها ، إنها هنا نتيجة لهجوم موسى الذي استولى بعده على طليطلة ، ومن البطيحي أن يشير المؤلف إلى الرواية التي شهر فيها طارق بموسى أمام الخليفة الوليد ، وقد . هن موسى للخليفة على أن طارقاً اغتصب منه شرف الحصول على هذا الكثر الثمين .

لقد استغل المؤلف نكبة موسى وعقاب الخليفة سليمان له في تقديم رواية درامية مؤثرة ، لاتنقصها التفاصيل التي تبرر كل تصرفات القائد المشهور ، وتؤكد أن خطأ الوحيد هو نزاعته وسلوكه الملتزم للغاية ولا ينسى المؤلف إبراز إعجاب الخليفة عمر بن عبدالعزيز بموسى بن نصير والدفاع القوى الذي حاول به «عمر» بترثة موسى بن نصير من كل اتهامات سليمان .

٣ - لاتعنى القطعة بما يتعلق بموسى وحده بل تحرص على توضيح أحداث ولديه ، وتقدم حدث اغتيال عبد العزيز بن موسى بعد عودة والده إلى المشرق على أنه عمل خيانة دنيء وحقيق قام به أناس عاملهم عبدالعزيز بن موسى بكل كرم ونبيل . وبطبيعة الحال لا يشير بكلمة واحدة إلى سبب هذا الاغتيال الذي ذكره معظم المؤرخين والمتمثل في زواجه من «النجيلونا» «Egilona» ابنة أو أرملة «لزيق» «رود ريجو» «Rodrigo»

والشكوك التي دارت حول اعتناقه المسيحية بتأثير زوجته .

٤ - إذا أضفنا إلى هذه التفاصيل المتعلقة ببطولة موسى وأفراد أسرته وأسماء مواليه حتى النصوص المتعلقة بالإجراءات القضائية ضده بكل ما ترتب عليها ، أدركنا أننا أمام مؤلف يعرف كل ما يتعلق بتفاصيل حياة موسى وحياة أسرته ، وأن هناك علاقة مباشرة بين المؤلف وبين هذا المحاهد الشهير ، وليس هناك ما يمنع أن تكون هذه العلاقة علاقة قرابة ممكن من خلالها أن يصل المؤلف إلى معرفة كل التفاصيل التي تحافظ عليها الأسرة من خلال تقاليد ها ، وهذا لا ينفي وجود الرغبة الملحة في تمجيد وتضخيم شخصية موسى وتاريخه بصورة زائدة من خلال المبالغات وحتى اختراع التفاصيل غير المناسبة وغير المقنعة ، ومن هنا لم يكن ضروريا أن نثق في كل ما يرويه

٥ - مؤلف الكتاب إذا ينبغي أن يكون من سلالة موسى بن نصير فإذا أضفنا لهذا اهتمام المؤلف بأبناء موسى بن مروان خاصة (الجد الأعلى لمبارك بن مروان) حيث يحاول إبراز دور مروان بن موسى سواء في فتح بلاد الشمال الأفريقي أو فتح الأندلس ويوضح أن دور هبائي في الأهمية بعد دور والده ، كل هذا يؤكد اطراء المؤلف وحماسه له ، فقد أحضر في إحدى حملاته بأفريقية عددا من الأسرى يقدر بمائة ألف ، كذلك فإن والده قد كلفه بفتح «ساجومة» فأتم المهمة بكفاءة كبيرة رغم سنه الصغير ، كذلك كلف بحملة مهمة إلى «السوس الأقصى» فهزم البربر وحمل معه ٤٠ ألف أسير على رأسهم ملكهم نفسه ، كذلك عندما طلب طارق بن زياد مجده من موسى بن نصير فإن مروان على وجه التحديد هو الذي ذهب لإنقاذه وترك اسبانيا قبل أن يقرر ذلك والده ، وهدف هذه الرواية تقرير «مروان» والتعظيم على الدور الذي قام به طارق في فتح الأندلس ، فلو لا تدخل مروان مانجح طارق في تحقيق نصر حاسم ، بعد ذلك يتحدث عن الحملات التي قام بها مروان في صحبه والده وترك آثارها في فتح الأندلس حتى ما بعد سرقسطة ، ثم عاد بصحبة والده الفاتح للأندلس إلى بلاد المشرق مع أخوه

وقواد كبار آخرين ، وقد أثنى موسى على شجاعة ابنه مروان أمام الخليفة
سليمان ، مبرزا أنه أسر ملكين هما البربري ملك السوس ، والقوطي «لزيق»
أو «رود ريجو» ملك اسبانيا .

أنه لشيء ذو مغزى أن يهتم المؤلف بالتفصيلات المتعلقة بسلالة مروان ،
يبدو ذلك في الفقرات المخصصة لفتح «ساجومة» ونبرر من ذلك بصفة خاصة
الحوار الذي دار بعد وصف مفصل لموقعة قامت بين مروان والملك البربري
«كسيلة» وتضمن بيانات جغرافية واستراتيجية خاطئة ، ذلك الحوار الذي دار
بين مروان وبين فارس بربري بعد موت كسيلة بأيدي مروان ، بعده يقول
المؤلف أن موسى مكافأة منه لولده ، سمح له باختيار إحدى الأسيرات ذات
الأصول النبيلة وقد اختار مروان ابنة كسيلة وبني بها ، وكان له منها ابنه
عبد الملك .

نحن إذن امام اهتمام ليس فقط بمروان بل وبابنه عبد الملك ثمرة البناء
بالأسيرة البربرية النبيلة الأصل ، فإذا وضعنا في الاعتبار أن عبد الملك هو
آخر وال أموي على مبرر ، وأنه في الآن نفسه الجيد المباشر للمؤرخ معارك
بن مروان ، ألا يعني هذا أن القسم الخاص بالأندلس وشمال إفريقية من
كتاب الإمامة والسياسة من تأليف معارك بن مروان ؟

٦- أخيرا يذكر ابن الفرضي اسم عبد الحميد بن حميد مولى «بنو مراد»
مصدرا لكتاب معارك بن مروان ، وهذا الاسم نفسه يتفق تماما مع واحد من
مصادر المعلومات في جزء الكتاب المنسوب خطأ لابن قتيبة . ليست هذه
مصادفة تحت ، لكنها تضاف إلى ماسبق لنصل إلى نتيجة هي أن الجزء الخاص
بفتح شمال إفريقية والأندلس ، والذي يمكن تحديده بالقسم الذي موضوعه
ترجمة موسى بن نصير ، هو نفسه الذي يتحدث عنه الحميدي وابن الفرضي
منسوبا لمعارك ابن مروان حفيد موسى بن نصير .

(١) أنظر : أ.د. محمود على مكي .

مصر والمصادر الأولية للتاريخ الأندلسي ، بحث منشور بالأسبانية في مجلة المعهد المصري
لدراسات الإسلامية ، المجلد الخامس ١٩٥٧ م ص ٢١٠ - ٢٢٠ .

هذا ما وصل إليه أ. د. محمود على مكى بعد تلك الدراسة المتأنية المستوعبة المنشورة باللغة الأسبانية ، وبإعادة قراءة كتاب «الإمامة والسياسة» ، خرجت باطباع هو أن هذا الكتاب لم يكتبه أكثر من مؤلف ، بل كتبه مؤلف واحد ، تناول في قسمه الأول تاريخ الراشدين ، ويبدأ فيسهب في ذكر أحداث هذا التاريخ اعتباراً من فتنة عثمان وعلى - رضى الله عنهما - حيث يذكر بتفصيل خطب الخلفاء والولاة والرسائل المتبادلة بين الفئات المختلفة وكلمات القادة والمشاهير والمحاورات بين الجماعات المتنازعة والكتب التي بعث بها هذا المستول أو ذاك ورد الخليفة أو غيره عليها .

ثم يصل إلى موسى بن نصير فيتحدث عن توليته البصرة لعبد الملك بن مروان ثم توليته على إفريقية وخطبته بمنطقة ذات الجماجم وفي إفريقية ودخوله إلى المغرب وفتوحاته وعلاقاته بعبد العزيز بن مروان وغزوات موسى في البحر وإرساله ابنه «مروان» لفتح «السوس» الأقصى وغير ذلك .

ثم يأتي ليتحدث عن فتح الأندلس معتمداً على مصادر مصرية في معظمها هي الليث بن سعد ومحمد بن سليمان وغيرهما من مشايخ مصر وعبد الله بن شريح وابن أبي ليلى التجيبي عن حميد عن أبيه وعبد الحميد بن حميد عن أبيه ، كما يعتمد على ياسين بن رجاء عن رجل من أهل المدينة شيخ ، وعن عبيد الله بن المغيرة ابن أبي بردة ، وجعفر ابن الأشتر وكلاهما ممن غزا الأندلس مع موسى حتى بلغ سرقسطة وعن عبد الرحمن بن سلام الذي حضر مع موسى كل غزواته وعن سعيد بن عبد الله وعن مولاة لعبد الله ابن موسى ويزيد بن سعيد بن مسلم مولى موسى .

وهناك روايات تتعلق بالشمال الإفريقي برويها المؤلف عن به ن المغاربة مثل الكريز أبو بكر عبد الوهاب بن عبد الغفار شيخ من مشايخ تونس ، وعبد الله بن قيس وعمارة بن راشد ، وبعض المشايخ من المغرب

كما روى عن محمد بن عبد الملك وعنه عن ريان بن عبد العزيز ابن مروان وعن مخبر أخبرهم من شيوخ الشام وبعض أهل المدينة وعن عبد الله

من جعفر وأبراهيم بن سليمان وعرفة بن عكرمة عن مشايخ من مراد عن رجل
منهم كان مع موسى بالأندلس .

والمؤلف في هذا القسم يفصل الأخبار ويدعمها بذكر أسانيدها
ومصدرها ، وينسب الكثير من العجائب والغرائب وأحاديث الجن لموسى
بن نصير ، ويذكر كسر تميزه بنحروب الشجاعة وحوزه النادر من الغنائم
والرغائب والأموال ، ويدفع عنه كل تقيصة فلا يذكر ما يسوؤه ، ولا
يذكر شيئا عن مقتله ولا عن سبب مقتل ابنه عبد العزيز ويثني كثيرا على
تلك الأسرة ويبالغ في نسبة الفضائل إليها .

وكل هذا يوحى بأن المؤلف له صلة بأسره موسى بن نصير أن لم يكن
هنا ، فإذا أضفنا إلى ذلك اعتماده في مروياته - غالبا - على مصادر مصرية ،
وولاه بكل ما كان يميز المدرسة المصرية آنئذ من ذكر للعجائب والخواص
ونسبة الأشياء إلى الجن وإلى الأمور الخارقة على نحو ما يفعل القصاص .

هذا كله يجعلنا نقول إن مؤلف الكتاب مصري من أسرة موسى
بن نصير ، وليس بعيدا أن يكون هو نفسه معارك بن مروان .

ويلاحظ أن المؤلف يميل إلى الإيجاز النسبي في القسم الأخير من
الكتاب ، ولا يسرف في ذكر الخطب والمراسلات والمحاورات وربما يرجع
ذلك إلى ماناله من تعب أو ملل بعد أن شارف الكتاب على نهايته ، أو أن
الأحداث النهائية في الكتاب كانت قريبة من زمنه متداولة على الشفاه في
أيامه ، فلم يحتاج إلى استيعابها والالحاق في إثباتها وتضميدها بذكر أسانيدها
في النهاية نحن أمام عمل واحد لمؤلف واحد ، كذب على فترات مختلفة ،
فوجدت فروق إلى حد ما - بين أقسامه ، وربما الج كتاب فترة زمنية في
التاريخ الإسلامي ، تمتد من الراشدين إلى استخلاف الرشيد لابنه المأمون
سنة ١٩٤هـ - ٨٠٩م وربما كان كتاب «أخبار الأنديلس» الذي نسبته بعض
كتب التراجم إلى مؤلف من سلالته موسى بن نصير ، جزءا من هذا الكتاب .

لقد كان لهذا العمل تأثيره الواضح على الأعمال التاريخية بل والأدبية اللاحقة . والاتفاق بينه وبين بعض روايات ابن حبيب وابن خرداذبة وابن الفقيه وابن رسته ، تشير إلى أنه كان شائعا بمصر في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، خاصة في الأوساط الشعبية ، وعليه اعتمد مؤرخون ذروا مكانة مثل ابن عذارى . والمسعودي عندما يتكلم عن مدينة النحاس التي وصل إليها موسى ابن نصير ، يبدو أنه يعني هذا الكتاب عندما تحدث عن «كتاب شائع بين الناس» .

من خلال هذا العمل نفسه دخل موسى وابنه مروان البوابة الكبرى للموسوعة الشعبية الشهيرة في الأدب العربي : ألف ليلة وليلة ، ولعله على وجه التحديد - في قسمها الذي يظن أنه كتب بمصر .

الأندلس والمؤرخون المشاركة :

بالإضافة إلى كل ما مر ، هناك عدد من المؤرخين المشاركة عالجوا موضوع الفتح الإسلامي للأندلس في مؤلفاتهم ، وبهدف أن نكمل الصورة ، أرى من المناسب أن تقدم لمحة عن هؤلاء :

أولهم : محمد بن عمر الواقدي المدني : ١٣٠-٢٠٧هـ = ٧٤٧-٨٢٢م فقد تعرف على شخصيتين يظن أنهما زواده بمعلوماته عن الأندلس : هما المحدث المصري الذي أقام في الأندلس وهو أحمد بن خازم .

والثاني : وهو أكثرهما أهمية - هو موسى بن علي بن رباح بن التابعي الشهير علي بن رباح وإلى مصر وصاحب موسى بن نصير .

وقد عرف الواقدي - غير هذين - شخصا آخر اسمه عبد الحميد بن جعفر الذي كان والده على اتصال بمجنود القوات التي حاربت «الزريق» أو زودريجو Rodrigo تحت قيادة طارق بن زياد .

انظر :

أ.د. محمود علي مكى ، البحث المنشور بالإسبانية في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، والمنوه به في هذا البحث أكثر من مرة ، ص ٢١٠ - ٢٢٠ .

وما يذكر في تاريخ بن حبيب إنما صدر عن طريق إمامهم بن المنذر ،
تلميذ الواقدي وأستاذ المؤلف ، ويقتصر على عرض لولاة الأندلس حتى
عبد الرحمن الأول .

ويذكر بن الرازي الواقدي أربع مسرات ، يعتمد في بعضها على
الرازي ، ونظن أن هذا بدوره أخذ الروايات المذكورة عن تاريخ ابن حبيب
(يعني عن كتابه الأصلي الى هو أوسع بكثير من المخطوطة الموجودة في
«بودليانا» والتي نشرت تحت عنوان «كتاب استفتاح الأندلس» كما ذكرنا
من قبل .

وتتكلم القطعة الأولى من القطع المشار إليها عند ابن عذارى عن
الواقدي عن اتفاق مجدد بين طارق بن زياد والكونت خوليان Julian
حاكم الجزيرة ، كي يدخل المسلمون إلى أسبانيا في السفن التجارية ،
بعد ذلك يذكر تطور المعركة التي دارت بين طارق ولزريق أو رودريجو ،
وفي القطعة الثالثة يروي قدوم موسى بن نصير — الذي حسد طارق —
إلى أسبانيا وسقوط مدينة سليم «شذونه Sidonio عنوة والقطعة الرابعة
والأخيرة تتناول الرواية المتعلقة بزواج عبد العزيز بن موسى من
إخيلونا Egilona ابنة «رودريجو» والمؤامرة التي أودت بحياة الأول
بسبب اتهامه بالردة .

أمّا ابن القرضى فيذكر الواقدي مرتين الأولى متضمنة في ترجمة
عبد العزيز بن موسى والثانية في ترجمة حنش الصنعاني ، أحد التابعين الذين
رافقوا موسى بن نصير عند الفتح الأندلس .

ونلفت النظر إلى وجود اتفاق كبير بين الأخبار التي يرويها الواقدي
وبين عمل ابن عبد الحكم «فتوح مصر وأخبارها» ، وهذا يفسره أن الأول
أخذ عن موسى بن علي بن رباح ، وروى الثاني عن تلاميذ الليث بن سعد
الذي يحتمل صدور معلوماته عن نفس المصدر ، وعلى كل حال ، فرغم
أن الواقدي لم يكن مصرياً إلا أنه اعتمد بصفة أساسية على ماتعلمه من
المصريين عند معالجة تاريخ الأندلس .

أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذرى ت ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م ولا يكاد يضيف شيئا على ما كتبه الواقدي الذي كان البلاذرى تلميذا غير مباشر له ، وكان محمد بن سعد كاتب الواقدي استاذاً له ، وفي كتابه «فتوح البلدان» - المخصص للفتوحات الإسلامية - فإن روايته عن الأندلس تقتصر على بعض السطور اعتماداً على كتاب الواقدي .

الطبرى :

ما يتعلق بالقليل السننى كتبه المؤرخ الكبير محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ - ٩٢٣ م عن الأندلس ، فإنه يعتمد أيضاً على معلومات مصادرهما مصرية ، كما نرى فيما ذكره حول التاريخ الموجز للقرطبيين الذين سيطروا على الاسكندرية بعد فشل ثورة الربض ضد الحكم الأول ، ثم طردوا بعد ذلك من المدينة الساحلية ، فاتجهوا إلى جزيرة «كريت» فى هذا الخبر يذكر الطبرى يونس بن عبد الأعلى مصدراً لمعلوماته ، وهو محدث مصرى مشهور ، جد المؤرخ أبو سعيد بن يونس المشار إليه فيما سبق .

روايات الرحالة المشزقة عن الأندلس :

وكى تكتمل صورة الأخبار التى كتبها المشارقة حول الأندلس لابد من توجيه عناية للمرويات التاريخية المتضمنة فى كتب الجغرفيين الرحالة الأول متعلقاً بهذا البلد . لن يكون من المفيد عرض هذه الأخبار بالتفصيل ، فهناك دراسات حققت هذا الغرض (١) الشئ الوحيد الذى نود لفت الأنظار إليه ، أن هذه الروايات التى تهتم كلها تقريباً بنوع الأساطير والغريبة ، يمكن أن نرى فيها تأثير مصرى واضحاً ، كما فى حالة ابن خرداذبة الذى

(١) أنظر مثلاً :

J. Alemany Bolufer : La geografia de la peninsula Iberica en los escritores Arabes.

Revista del cetnro de estudios historicos de GRANADA y su reino ano 1921.

كتب كتابه نحو ٢٣٢هـ - ٨٤٦م وابن الفقيه ٢٠٩هـ - ٩٠٣م ، وابن رسته الذى ألف كتابه فى نفس الفترة ، وقصصهم الأسطورية حول الأندلس لا تمثل شيئا كبيرا فى حد ذاتها ، ويبدو أنها كلها تستلهم القصص الذى كان ينشرها آنذ القصاصون المصريون ، وهى تتفق - إلى حد كبير - مع ما كان يكتبه المؤلف المجهول لكتاب «الإمامة والسياسة» الذى لابد أن يكون مصريا ويتمى لنفس الفترة .

من هذا العرض لما كتبه المشاركة حول الأندلس ، زى أن ما قدموه كان نادرا إذا قورن بالمرويات المصرية ، وحتى القليل الذى كتبه أتى فى معظمه من مصادر مصرية .

بقى أن نشير إلى أن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد - وهو اندلسى ، عاش فترة طويلة من حياته فى القرن الثالث الهجرى ٢٤٦هـ - ٣٢٨هـ - ٨٦٠م وترك بعض الأمال التاريخية ، لكنها لم تتضمن شيئا عن الأندلس ، ولهذا لم نعرض له .

ومن الأسماء التى اهتمت بالتاريخ ابو بكر عبد الله بن عبد الله بن نظام وله كتاب تاريخى جغرافى نوه به المقرئ (نفع الطيب ج١ ص ١٠٢) وذكر أنه يصف اسبانيا العربية . كذلك ذكره ابن حيان فى جزء المقتبس الموجود فى أكسفورد (ورقة ١٢ وجه ، ١٣ ظهر) ، ولذلك يعتقد أنه من مؤلفى الفترة الأولى .

ومن الأسماء محمد بن عبد الله الأشعث ، وقد اعتبره ابن حيان مصدرا له فى كتابه المشار إليه آنفا ، وذكره كل من بن الفرضى (١ : ٢٢٦) ، والضبي (١٢٥) ، وكان اشبيليا حافظا للأخبار ، وربما كان مؤلفا لتاريخ محلى عن اشبيلية (حابينجوس ٢ : ٤٤٨ ، والملحق LX) وموقع هذا المؤلف الفترة الأولى غالبا .

(٢) أنظر : بحث أ.د. محمود مكي المشار إليه فيما سبق ص ٢٠٥ - ٢٠٩ .

ويذكر أبو عبد الرحمن معاوية بن هشام بن محمد بن هشام بين مورخى
الفترة الأولى ، وهو قرطبي ينحدر من أسرة بنى أمية ، وكان أديبا إخباريا
أخذ عنه ابن حبان مادة وفيرة لأعماله التاريخية ، وينسب له ابن الأيثار كتابين
هما :

١ - « تاريخ في دولة بنى مروان بالأندلس » .

٢ - « التاج السنى في نسب آل على » وهو في نسب العلويين وغيرهم
من قریش ، ولانعرف عن هذين الكتابين أكثر من اسمهما وبالتالي
لا نستطيع التوصل إلى منهج صاحبهما .

والحمد لله ، له الحمد فى الأولى والاخرة »

أهم المصادر والمراجع

أولاً : أهم المصادر والمراجع العربية :
مرتبة أبجدياً وفقاً لألقاب المؤلفين مع عدم مراعاة أداة التعريف والإضافات مثل ابن ، أبو ... إلخ .

الاشيلي : أبو محمد بن خير :

فهرسة مارواه عن شيوخه ، نشر « كوديرا » ضمن المكيية الأندلسية ،
مدريد أسبانيا ١٨٩٣ - ١٩٨٥ م .

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي :

- الحلة السراء ، نشر بعناية المستشرق دوزي ليدن سنة ١٨٥١ ، ثم
حققه الأستاذ الدكتور حسين مؤنس وطبع بالقاهرة ١٩٦٣ في مجلدين .
- التكملة لكتاب الصلة ، نشر ضمن المكتب الأندلسية ، مدريد ،
ونشره عزت العطار الحسيني ، القاهرة ١٩٥٥ م .

ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك :

كتاب الصلة . نشر كوديرا ضمن المكتبة الأندلسية ، مدريد ١٨٨٤ -
١٨٨٥ م .

جب : هاملتون :

كتب مادة « تاريخ » بدائرة المعارف الإسلامية .

جمال الدين : عبد الله محمد :

أبومروان بن حيان ، أمير مؤرخي الأندلس ، بحث منشور بمجلة «أوراق» التي تصدر عن المعهد العربي الأسباني للثقافة ، مدريد، اسبانيا العدد الثاني ، ١٩٧٩ م .

الحريري : محمد عيسى ، الأستاذ الدكتور :

ثورة عمر بن حفصون ، زعم المولدين في الجنوب الأندلسي ، في عصر الإمارة الأموية بالأندلس ، القاهرة ١٩٨٢ م .

الحميدى : أبو عبد الله محمد بن أنى نصر بن فتوح بن عبد الله جذوة المقتبس ، القاهرة ١٩٥١ ، ثم ١٩٦٦ م .

الحميرى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم : الروض المعطار ، نشر ليفى روفنسال ، القاهرة ١٩٣٧ م .

ابن حيان :

المقتبس ، القسم المنشور بعناية منشور انطونيا باريس ١٩٣٧ م .

ابن خاقان : الفتح بن خاقان :

مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، القسطنطينية ١٨٨٥ ثم نشره محمد على شرايكة في بيروت ١٩٨٣ م .

الخزرجي : سيف الدين أحمد بن عبد الله :

خلاصة تهذيب الكمال ، القاهرة ١٩٠٤ م .

ابن خلكان : فمس الدين أحمد بن إبراهيم :

وفيات الأعيان ، مجلدات ، بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨ م .

الزركلى : مخبر الدين :
الأعلام ، مجلدات ، القاهرة ١٩٥٦ م .

سزكيس : فؤاد :

تاريخ التراث العربى ، المجلدان الأول والثانى ترجمهما عن الألمانية محمود
فهى حجازى ، وفهى أبو الفضل ، القاهرة ١٩٧٧ م .

ابن سعيد : على بن موسى . . المغربى :

المغرب فى حلى المغرب ، جزاءان بتحقيق شوقى ضيف ، القاهرة
١٩٥٣ - ١٩٥٥ م .

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن :

حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، مجلدان ، القاهرة ١٨٨٣ م .

الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة :

بغية المتنس فى تاريخ الأندلس ، طبعة كوديرا وهو المجلد الثالث من
المكتبة الأندلسية ، مدريد ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م .

العبادى أحمد مختار : الأستاذ الدكتور :

- فى تاريخ المغرب والأندلس ، الأسكندرية بدون تاريخ .
- الإسلام فى أرض الأندلس ، بحث منشور بمجلة عالم الفكر الكويتية ،
المجلد العاشر ، العدد الثانى ١٩٧٩ م .

ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله :

فتوح مصر وأخبارها ، نشر تشارلز تورى ليدن ١٩٢٠ ، ١٩٢٢ م .

عبد الحميد : سعد زغلول : الأستاذ الدكتور :

فتوح المغرب والأندلس فى رواية ابن عبد الحكم ضمن كتاب دراسات
عن ابن عبد الحكم ، القاهرة ١٩٧٥ م .

علی : عبد الفتاح فتحی عبد الفتاح :

الدراسات التاريخية في مصر الإسلامية في القرن الثالث الهجري رسالة
ماجستير في مجلدين بمكتبة كلية دار العلوم .

ابن عذارى المراكشي : أبو العباس أحمد بن محمد :

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ٣ مجلدات ، ، نشر ليفي
بروفنسال ، ليدن ١٩٤٨ م .

عنان : محمد عبد الله ، الأستاذ :

دولة الإسلام في الأندلس ، مجلدان ، القاهرة ١٩٦٩ م .

ابن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون البعمرى :

الدبياج المذهب لمعرفة أعيان المذهب ، القاهرة ١٩٣٢ م .

ابن الفرضى : أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف :

تاريخ علماء الأندلس ، ضمن المكتبة الأندلسية ، نشر كوديرا ، مدريد
١٨٨٠ - ١٨٨٢ م .

ابن القوطية : أبو بكر محمد بن عبد العزيز :

تاريخ افتتاح الأندلس ، ضمن منشورات الأكاديمية الملكية للتاريخ
في مدريد ، اسبانيا ، مع ترجمة قشتالية لتوليان ريبيرا ، مدريد ١٩٦٢ م .

ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك بن الكروذبوس التوزرى :

تاريخ الأندلس ، نشر أحمد مختار العبادى ، الأستاذ الدكتور ، مدريد
اسبانيا ١٩٧١ م .

كاشف : سيدة إسماعيل ، الأستاذة الدكتورة :

مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه ، القاهرة ١٩٧٦ م .

كحالة : عمر رهما :

معجم المؤلفين ١٥ مجلد ، بيروت ، لبنان ١٩٥٧ م .

مؤنس : حسين ، الأستاذ الدكتور :

تاريخ الفكر الأندلسي ، تأليف النخل بالثيا ، ترجمه للعربية حسين مؤنس ،
القاهرة ١٩٥٤ م .

المقدمي : خمس الدين أبو عبد الله محمد :

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦ م .

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي :

نخط المقريزي ، المعنونة : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،
القاهرة ١٩٠٦ - ١٩٠٨ م .

المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني :

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وتاريخ لسان الدين بن الخطيب
مجلدان ، القاهرة ١٩٤٩ بتحقيق محمد عي الدين عبد الحميد ، ثم نشره
احسان عباس في ٨ مجلدات ، بيروت ١٩٦٨ م .

مكي : محمود علي ، الأستاذ الدكتور : | |

السيرة النبوية في الأندلس ، بحث منشور بمجلة الهلال ، عدد خاص
بمحمد صلى الله عليه وسلم ، القاهرة ١٩٧٦ م .

ابن النديم : أبو الفرة محمد بن إسحاق :

الفهرست ، القاهرة ١٩٢٩ م .

ثانيا : أهم المراجع الأوروبية :

Al Bornoz (Sanchez) :

Notas para estudio de dos Historiadores Hispano Arabes en los siglos xlll y lxy Boletin de la Universidad de santiago, santiago 1934.

Alemaný (Boluber) :

La geografía de la península Eberica en los escritores Arabes.

Revista del centro de estudios históricos de Granade y su reion, ano 1921.

Casiri (Miguel) :

Bibliotheca Arabico Hispano escurialensis, Madrid, 1760 - 1770.

Dozy (Reinhaidt) :

Recherches sur l'histoire et la litterature de l'Espagne pendant le moyen age, Leyden 1881.

Gayangos (Pascual de) :

The history of the Mohamedan Dynasties in Spain, London 1840 - 1843.

Lopez ortiz (Jose) :

La recepcion de la escuela Malqui en Espana, en Anuario de historia de Derecho Espanol, vol. vll, Madrid, 1930.

Makki (Mahmud Ali) :

Egipto y la historiografia Arabigo-Espanola.

Revista del instituto de estudios Islamicos en Madrid, vol. v, Madrid 1957.

Moreno Nieto (Jose) :

estudios criticos sobre los historiadores Arabigo-Espanol, Madrid 1882.

Palencia (Angel Gonzalez) :

Historia de la literatura Arabigo-Espanola, Madrid Barcelona 1945.

Pons Biogues (Francisco) :

Ensay Bio-Bibliografico Sobre los Historiadores y geografos Arabigo-Espanoles, Madrid 1898.